الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي–

معهد العلوم الإسلامية قسم أصول الدين

تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية

محاضرات موجهة لطلبة السنة ثالثة دعوة وثقافة إسلامية– لسانس– في مقياس:

أعلام الدعوة في الجزائر ومؤسساتها

من إعـــداد:

د. مسعي محمد السعيد

السنة الجامعية:

1442–1443هـ / 2020–2021م

المحاضرة الأولى: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحا وأهمية دراسة المقياس

أولا: مفهوم الدعوة لغة اصطلاحا

يعتبر علم الدَّعوة الإسلاميَّة من أهم العلوم الإسلاميَّة التي حظيت بها الأمَّة الإسلاميَّة منذ زمن الرَّسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، وهو من أعظم المباحث الشَّرعية، والمقاصد السُّنية التي أتى بها الإسلام، وحثَّ عليها القرآن الكريم.

القرآن الكريم والسّنة النَّبوية وهما المنطلقان الأساسيان للدَّعوة إلى الله، والمصدران الرّئيسيان لعلم الدَّعوة وتأصيله الشَّرعي، باعتباره في الحقيقة علماً عملياً يقوم به علماء أمة سيدنا محمدﷺ بغية نشر الإسلام وقيمه السّمحة، وهداية النَّاس من الظُّلمات إلى النّور بإذن الله، وعلماً يدعو إلى طريق الله المستقيم القويم، وعلى هذا فعلم الدَّعوة مستمر ومتواصل بين النَّاس منذ أن خلق الله تبارك وتعالى أبينا آدم عليه السَّلام حتى بعثة سيد الخلق نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وآله وسلم.

ومن جهة أخرى تعتبر الدَّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ علماً نظرياً له قواعده وضوابطه وفنونه ويُدرس دراسة أكاديمية وعلمية، ولقد تباينت وتعدَّدت تعاريف هذا العلم منذ زمن التأليف والكتابة من عالم لآخر ومن باحث لآخر بحسب نظرة كل باحث إلى الدَّعوة ووسائلها وأساليبها وأهدافها.

1/ لغة:

الدَّعوة لغة: المرة الواحدة من الدعاء، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا، والدُّعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو النَّاس إلى بدعة أو دين.[1]

وجاء في تهذيب اللُّغة: "المؤذن داعي الله، والنَّبي ﷺ داعي الأمَّة إلى توحيد الله وطاعته"[2]، نستشف من هذا التعريف أنَّ الدَّعوة جاءت بمعنى الطَّلب والنِّداء للقيام بواجب

---

[1] - ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر بيروت، ج14، ص258، 259.

[2] - أبو منصور محمد ابن أحمد الأزهري: **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001: ج3، ص77.

أمر الله والتَّوجيه إلى أداء الصَّلاة، يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز مخبرا عن الجن الذين استمتعوا القرآن وولَّوا إلى قومهم منذرين:﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾[3].

وجاء في المصباح المنير للفيومي: "دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله، دعا المؤذن النَّاس إلى الصَّلاة فهو داعي الله والجمع دعاة وداعون مثل قاض وقضاة وقاضون والنَّبي صلى الله عليه وسلم داعي الخلق إلى التَّوحيد"[4].

وورد في المعجم الوسيط أن الدَّعوة في اللُّغة أتت بمعنى الحث على الطَّاعة والعمل الصَّالح نقول دعاه إلى الشيء حثه على قصده، يقال دعاه إلى الصَّلاة، ودعاه إلى الدِّين، ودعاه إلى المذهب حثه على اعتقاد والإيمان به[5].

ومن خلال التَّعاريف السَّالفة الذِّكر، يتبين لنا أن لفظ الدَّعوة يدور ويتمركز حول الطَّلب والسُّؤال والنِّداء والحث على فعل الشيء، ويستعمل كذلك في تحقيق أعظم المقاصد في تحصيل الخير وهداية البشر، وهذا ما جاءت به الآيات القرآنية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[6]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[7].

كما جاء لفظ الدَّعوة في السّنة النَّبوية في عِدَّة مواضع، ويختلف كل موضع في المقصد والبيان منها:

1. عَنْ ضِرَارِ بْنِ الْأَزْوَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَقُوحٍ مِنْ أَهْلِي، فَقَالَ لِي: «احْلِبْهَا» فَذَهَبْتُ لِأُجْهِدَهَا، فَقَالَ: «لَا تُجْهِدْهَا دَعْ دَاعِيَ اللَّبَنِ» [8]؛

---

[3]- سورة الأحقاف الآية 31.

[4]- أحمد بن محمد الفيومي: **المصباح المنير**، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1987م، ص73.

[5]- إبراهيم مصطفى: **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص286 . وانظر: الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط:4، 1430هـ / 2009م، ص315

[6]- سورة يوسف الآية 108.

[7]- سورة فصلت الآية 33.

[8]- أخرجه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب ضرار بن الأزور الأسدي ﷺ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1422هـ/2002م، ج3، رقم الحديث: 5041، ص264. وقال صحيح الإسناد ولا يحفظ لضرار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير هذا.

أي: "أبق في الضرع قليلا من اللبن ولا تستوعبه كله، فإن الذي تتقيد فيه يدعوها وراءه من اللبن فينزله"[9].

1. عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–: أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال:"إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها"[10]؛ أي أنَّه إذا طلب منكم الحضور إلى الوليمة فليأتها، وهنا جاء لفظ الدَّعوة بمعنى الطلب.

2. وروي في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر :قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– :"أجيبوا هذه الدَّعوة إذا دعيتم لها"[11]؛ يعني إذا طلب منكم الحضور للشيء المقصود.

3. جاء في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل " مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[12].

4. جاء في الحديث الشريف حينما سئل النَّبي –ﷺ– عن أول بدء أمره فقال: "دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنَّه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام"[13].

---

[9]- عبد الباقي قانع البغدادي: **معجم الصحابة**، تحقيق خليل إبراهيم قوتلاي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السَّعودية، الرياض ط:1؛ 1418هـ/1998م، القسم الأول، ج4، ص2705.

[10]- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط:1؛ 1423هـ/2002م، رقم الحديث: 5173، ص 1318.

[11]- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب النكاح، باب إجابة الداعي في العرس وغيره، رقم الحديث: 5179، ص1319.

[12]- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب بدء الوحي، باب، رقم الحديث: 7، ص10، 11.

[13]- أخرجه أحمد بن حنبل في **مسنده**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 1421هـ.2001م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج36، ص 595، 596 – تتمة مسند الأنصار، حديث، أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه رقم الحديث 22261 ، وقال صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف، وأخرجه الطيالسي (1140) ، وابن سعد 102/1، والحارث بن أبي أسامة (8492) ، والطبراني في "الكبير" (7729).

جاءت الدَّعوة بمعنى النِّداء في السّنة ومنه ما جاء في الحديث: "من قال حيث يسمع النِّداء، اللَّهم رب هذه الدَّعوة التَّامة والصَّلاة القائمة"[14].

2/ الدَّعوة اصطلاحا:

للدَّعوة عِدَّة تعريفات اختلفت باختلاف نظر العلماء والباحثين كل حسب رأيه، ومن هذه التعاريف ما يأتي:

يعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "الدَّعوة إلى الله هي الدَّعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدَّعوة إلى الشَّهادتين، وإقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدَّعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدَّعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه"[15].

وقد وجد لفظ الدَّعوة في القران الكريم في عِدَّة مواضع نذكر منها:

1- قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[16].

2- قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[17]؛ جاء في تفسير الطبري: "أنَّها توحيد الله وشهادة لا إله إلاَّ الله"[18].

3- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[19].

4- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[20].

---

[14]- الحافظ أحمد بن علي بن حجر: **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدِّين الخطيب، كتاب الآذان، باب الدعاء عند النداء، دار الفكر، بيروت، ج2، ص94.

[15]- أحمد بن ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرَّحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمَّد، مُجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنوَّرة، د.ط، 1425هـ/2004م، ج15، ص157، 158.

[16]- سورة البقرة الآية 186.

[17]- سورة الرعد الآية 14.

[18]- محمد بن جرير الطبري(ت310هـ): **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، تحقيق بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1؛ 1415هـ/1994م، ج4، ص413.

[19]- سورة فصلت الآية 33.

[20]- سورة نوح الآية 05.

5- قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[21].

وقد عُرّفت الدَّعوة بأنَّها قيام طرف من الأمَّة من له أهلية وقدرة على تبليغ الرّسالة الإلهية التي شرعها الله تبارك وتعالى لعباده، بغية نشر الإسلام وشرائع الدِّين بهدف توحيد الخالق عزَّ وجلَّ وإفراده بكل ما يليق به من صفات وأفعال ونحو ذلك[22].

وعرَّف محمد الرّاوي الدَّعوة أنَّها "دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعا، وتجدد علي يد محمد خاتم النَّبيين كاملا وافيا لصلاح الدّنيا والآخرة"[23].

وعرَّفها محمد الغزالي بقوله: "هي برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها النَّاس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطَّريق التي تجمعهم راشدين"[24]

وعرَّفها أبو بكر زكري فقال:"الدَّعوة هي قيام من له أهلية النّصح والتَّوجيه السَّديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب النَّاس في الإسلام اعتقادا ومنهجا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة"[25]

ثانيا: أهمية المقياس في إثراء الساحة العلمية بالتعريف بالشخصيات الدعوية والاصلاحية.

لا جرم أنَّ الدَّعوة إلى الله -عزَّ وجلَّ- والعمل لدينه من الأمور المهمة في حياة الأمَّة الإسلاميَّة؛ لذا فهي من أهم المطالب في الإسلام، وأعظم المقاصد والمكاسب الجليلة التي ركَّز عليها النصوص في القرآن، وجاءت بها الشَّريعة الرَّبانية، مستنيرة الأحكام، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[26]، وقال أيضا:

---

[21]- سورة يوسف الآية 108.

22- محمود عبد الهادى دسوقى على: **منهج الدعوة الإسلاميَّة في معاملة أصحاب الأديان**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1؛ 1422هـ/2011م، ص10.

[23]- المرجع السابق، ص10.

[24]- محمد الغزالي: **مع الله دراسة في الدعوة والدُّعاة**، نهضة مصر للطِّباعة والنشر، ط:6؛ 2005م، ص13.

[25]- أبو بكر زكري: **الدعوة إلى الإسلام**، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص8.

[26]- سورة فصلت الآية 33.

كما أنَّ الدَّعوة إلى الله –جلَّ وعلا– عند أعلام الدعوة في الجزائر وظيفة ربانية نادى بها الشارع الحكيم في محكم التنزيل لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[27].

فعلى اختلاف مشارب الفصائل الإسلامية وتنوع مناهلها وتعدد أذواقها الروحية إلا أنها تشترك في أفق وغاية واحدة ألا وهي استعادة منظومة الخلافة الإسلامية الراشدة علمًا عملاً وعبادةً بغية إخراج النَّاس من الظُّلمات الشرك والوهم إلى إعتناق دين الله وسعة رحمته، وفي هذا الشأن يكفيها شرفا أنّها وظيفة رسل ربِّ العالمين لقوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[28].

لقد استقطب فضاء الدَّعوة إلى الله –عزَّ وجلَّ – عدداً كبيراً من أعلام الدعوة والحركات الإصلاحية في الجزائر، كجمعية علماء المسلمين ومدارس التربية الإيمانية كالمدارس الصوفية ومراكز التَّزكية الرُّوحية، والزوايا العلمية والمدارس القرآنية، غير أن كل واحدة منها تتميز بمنهج معين في المسار الدعوي وخدمة الإسلام وفقا لما انفردت به طبيعة مشارب مناهجها في الوسائل المتبعة والأساليب الممنهجة.

إن المتصفِّح في طيات التَّاريخ العربي والفتوحات الإسلاميَّة ضمن العمل الدَّعوي وانتشار الإسلام يرى فيه مزيجاً من الشخصيات الدعوية والإصلاحية وأصحاب التزكية الروحية، التي اتّسمت بالزُّهد والتَّقوى والورع في ابتغاء مرضات الله –عزَّ وجلَّ– والحياة الآخرة، وذلك بالوقوف على إقامة شعائر الإسلام من أداء ما أمر به الله –تعالى– من صلاة وصيام وتعليم اللُّغة العربيَّة والقرآن الكريم، وكذا تفعيل القيم الدّينية لشدّ أواصر المحبة والأخوة بين النَّاس من تعاضد وتضامن وتآزر فيما بينهم.

وفي ضوء هذا الأخير يرجع جزء من الفضل في ترعرع المؤسسات الدعوية وانتشار الإسلام في كل من القارات بعد الله تعالى إلى أعلام الدعوة والحركات الإصلاحية وأعلام الطُّرق الصُّوفية، أمثال الطريقة التجانية والقادرية والسنوسية، والرَّحمانية.

---

[27]- سورة النحل الآية 125.

[28]- سورة إبراهيم الآية 01.

فقد كان لدعاة الجزائر ومؤسسات الدعوة أثر بالغ ومشهود في المجال الدِّيني في المحافظة على قواعد الدِّين وأحكام الإسلام من الانحراف والزيغ، وفي المجال الثَّقافي المحافظة على عناصر ومقومات الثَّقافة الإسلاميَّة، وفي المجال الاجتماعي إرساء معالم التَّعايش الاجتماعي الأخوي بين النَّاس تحت مظلّة قيم الإسلام، وهذا ما يدل على مدى حرص الدعاة الربانيين على إقامة دين الله ونشر دعوته، حيث أنَّ الشَّاهد التَّاريخي لم يزل قائما إلى الآن بشهادته وعرفاناً لما أنجزته من أعمال البر والإحسان في موكب الدَّعوة الإسلاميَّة، ولما قدّمته المدارس العلمية من تنوير العقول بالفكر الإسلامي الرشيد، وتطهير القلوب من الرَّذائل وتحليتها بشتى الفضائل استمدادا من وحي فيض القلم وسنّة النَّبي الأكرم ﷺ.

المحاضرة الثانية: من أعلام الدعوة الاسلامية في الجزائر.

أولا- من أعلام الدعوة في الجزائر: الأمير عبد القادر (العالم الصوفي).

1- مولده ونسبه.

في مايو 1807م ابتهجت مدينة «القيطنة» بوادي الحمام من منطقة معسكر «المغرب الأوسط» الجزائر، بمولودها الجديد ونالت به الشرف العظيم وسُمي على بركة الله عزَّ وجل عبد القادر بن محي الدين الجزائري، ثم شد الرحال مع الده إلى مدينة وهران[29].

كما يرجع نسبه إلى آل البيت الشجرة الزكية المباركة فهو عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد يرجع في نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم[30] .

"فقد كانت أسرة الأمير عبد القادر تعتز بامتداد حلقاتها إلى هذا المعدن الشريف، ففي القرن الثامن هاجر إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المغرب، هارباً من بطش العباسيين، وأنشأ دولة الأدارسة وعاصمتها فاس، ودام حكمها حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر. وبعد أن سكنت بعض سلالات العائلة الكبيرة الأندلس، انتقل أحد أجداده عبد

---

[29]- انظر: محمد باشا ابن الأمير عبد القادر/الجزائري().**تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، بيروت: دار الكتب العلمية. ص7، 8. بسام العسلي(1986م). **الأمير عبد القادر الجزائري**. ط3. بيروت: دار النفائس. ص17. بتصرف

[30]- علي الصلابي (2018م): **من هو الأمير عبد القادر الجزائري**. مدونات الجزيرة. تاريخ الاطلاع: 2020/12/24م. رابط الموضوع https://www.aljazeera.net/

القوي الأول في نهاية القرن الخامس عشر . بعد سقوطها عام (1492م) . واستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف"[31] .

وتاريخ جده ليس منه ببعيد عن عوامل نشأته، فكان للأمير نصيب من تجربة أسلافه في مسايرة الواقع والتكيف معه عليه فقد أسس جده مصطفى الزاوية القادرية، نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، بعد أن زار مدينة بغداد عام (1791م). واشتهرت أسرته بالورع، وكانت قدوة للناس في الجهاد والعلم، وتوفي جده مصطفى بعين غزالة، قرب مدينة درنة في إقليم برقة شرق ليبيا عام (1797م) عند عودته من الحج، ودفن في نفس المكان ومايزال قبره معروفاً حتى الآن[32].

2- نشأته وعوامل تكوينه.

لقد شاءت المقادير الإلهية أن يتربع الزمان في عرشه على استقطاب نخبة من أعلام الدعوة والحركة الإصلاحية ومؤسسي المدارس الروحية، ورموز الثورة والجهاد في سبيل الله تعالى، حيث كان من جملة هذه النخبة الهادية والمؤهلة بتوفيق الله ضمن استخلاف أمره على أرض الواقع الأمير عبد القادر، وهذا الأخير ترعرع في بيئة وأسرة صوفية عريقة يسودها الصلاح في النفس والخوف والتقوى في إقامة حدود أمر الله الواحد الأحد، بالإضافة إلى أداء شعائر الإسلام وما انطوت عليه النصوص تأدية لحقوق الله تعالى على عباده، وهذه القيم الروحية كانت أحد الدوافع الأساسية والقوى التحريضية في سيادة الإسلام وأركانه الإيمانية والروحية على أرض الواقع، حيث عمل من خلال على تعزيز المنظومة الروحة التي تكفل للمرء سعادته العاجلة والآجلة.

ولقد عاصر رحمه الله عواصف التغير والمحن السياسية ضمن متقلبات الزمن الغابر من المستعمرات والحروب الصليبية وختاما بالاحتلال الفرنسي على الجزائر الذي طال عمره 130 سنة، وفي ظل هذه المتغيرات الجيوسياسية وانعكاساتها السلبية على الفرد والأمن القومي وأثرها على المنظومة الاجتماعية، شمَّر الأمير عبد القادر بكل مقوماته الفكرية الراشدة وما أوتي من آليات مادية ومعنوية فاعلة، وانطلاقا من معالم القيم الإيمانية المستمدة من فيض الوحي الإلهي قام مجاهدا بنفسه وماله ووقته ضد كل ما يتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي شكلاً ومضمونا، وكان كالصافنات الجياد في حرصه الدؤوب على المصالح العامة وسيادة كيان الدولة الجزائرية دون قيود وإملاءات خارجية التي تسعى لهدم لبنات المجتمع الإسلامي وإضعاف قداسة الإسلام في نفوس المسلمين وهذا الخلق وما جعل منه "شيحا كبيرا من شيوخ المرابطين المجاهدين، أولئك الذين اشتهرت بهم أيام الاندلس واشتهروا بها، حتى إذا زالت دلة

---

[31]- علي الصلابي (2018م). مرجع سابق.

[32]- علي الصلابي (2018م). مرجع سابق. بتصرف

الاندلس انتقلوا إلى ربوع المغرب الإسلامي ليقيموا بين أهلهم وذويهم وليحملوا راية الجهاد في سبيل الله، وزاد الشيخ شرفا على شرف انتسابه إلى (الهاشميين) قابة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[33]

ومنذ نعومة أضافره كان أوبوه شغوف وحريص على تعليمه وتربيته تربية نموذجيه يستوعب من خلالها مدارك الفهم الرشيد في مختلف محطات التاريخ الديني وبعده الحضاري والثقافي والتاريخ السياسي الإسلامي وفي ذلك "وقد بذل والده قصارى جهده في تثقيفه فأرسله إلى مدرسة وهران فبقي فيها سنتين (1237-1239هـ/1821-1823م) حيث تعلم العلوم العربية والدينية وطالع كتب الفلاسفة ودرس الفقه والحديث وأصول الشريعة"[34]

ومن المعلوم أن الوقت الذي تزامن معه والد الأمير عبد القادر كان مشحون بالقضايا السياسية ومسائل الحكم العثماني لذا "لم يكن محي الدين (والد الأمير عبد القادر) هملا بين الناس، بل كان ممن لا يسكتون على الظلم، فكان من الطبيعي أن يصطدم مع الحاكم العثماني لمدينة «وهران»، وأدى هذا إلى تحديد إقامة الوالد في بيته، فاختار أن يخرج من الجزائر كلها في رحلة طويلة. كان الإذن له بالخروج لفريضة الحج عام (1241هـ/1825م)، فخرج الوالد واصطحب ابنه عبد القادر معه، فكانت رحلة عبد القادر إلى تونس ثم مصر ثم الحجاز ثم بلاد الشامية ثم بغداد، ثم العودة إلى الحجاز، ثم العودة إلى الجزائر ماراً بمصر وبرقة وطرابلس ثم تونس، وأخيراً إلى الجزائر من جديد عام 1828م، فكانت رحلة تعلم ومشاهدة معايشة للوطن العربي في هذه الفترة من تاريخه، وما لبث الوالد وابنه ان استقرا في قريتهم «قيطنة»، ولم يمض وقت طويل حتى تعرضت الجزائر لحملة عسكرية فرنسية شرسة، وتمكنت فرنسا من احتلال العاصمة فعلا في 5 يوليو 1830م، واستسلم الحاكم العثماني سريعاً، ولكن الشعب الجزائر كان له رأي آخر"[35].

وضمن تاريخ نشأته واستكمال محطاته العلمية، "ومن أجل إتمام دراسته سافر عام (1821م) إلى مدينة أرزيو الساحلية؛ التي تقع شمال مدينة معسكر، على بعد حوالي سبعين كيلو متراً، وذلك على يد القاضي الشيخ أحمد بن الطاهر البطيوي؛ الذي كان مشهوراً بغزارة العلم وسعة الاطلاع، وبعدها رحل إلى مدينة وهران إلى مدرسة العالم الفقيه أحمد بن خوجة، صاحب رائعة در الأعيان في أخبار وهران، وتوسع في المعارف اللغوية والفقهية والنحو والبيان والفلسفة والمنطق وصقل ملكاته الأدبية والشعرية، واجتهد في حضور حلقات العلم لعلماء

---

[33]- بسام العسلي(1986م). **الأمير عبد القادر الجزائري**. مرجع سابق ص17.

[34]- فؤاد صالح السَّيِّد (2010م).**معجم السياسيين المثقفين في التاريخ العربي والإسلامي**. بيروت: مكتبة حسن العصرية. ص398.

[35]- محمد باشا ابن الأمير عبد القادر/الجزائري. **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، بيروت: دار الكتب العلمية. ص7، 8.

وهران، مثل الشيخ مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقريد، وقضى عامين كاملين في هذه الرحلة العلمية، وعاد إلى مسقط رأسه وتزوج بابنة عمه الآنسة خيرة بنت أبي طالب عام (1823م) وأقام في القيطنة معلمًا. وكانت له رحلات علمية للقرويين والزيتونة، وكانت البيئة التي عاش فيها بيئة إسلامية وتربوية إيمانية واجتماعية متماسكة، وفي ظلها تكونت شخصيته، وهي التي أثرت في تكوينه النفسي والجسماني والفكري والاجتماعي والسياسي، وهذا التكوين يعود إلى عوامل منها:

- العامل الوراثي والبيولوجي والعقلي للأمير.
- البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ في ظلها وعاش فيها.

لقد سمع الأمير عن ذلك التصوف من والده الذي لا شك قد حُفر في ذاكرته، وهو محاربة والده لأصحاب الطرق الصوفية الشاذة."[36]

كما لم يسكت الأمير عن الانزياح بعض منتسبي الطرق الصوفية وخروجهم عن مبادئ التصوف وأخلاقياته السمحة حيث وقف لهم بالمرصاد لإرجاع المياه إلى مجاريها ومعدنها الأصلي ألا وهو التحلي بالقيم الدينية المستوصى بها ضمن آيات القرآن الكريم والتي كانت سببا مع السنة النبوية في نشأة التصوف الإسلامي وإرساء معالمه النبيلة لذا " فالطرق الصوفية في شمال إفريقيا أحد الروافد الثقافية والفكرية، وقد تعامل معها العلماء وفق المعايير العلمية القائمة على العلم والإنصاف في الأفراد والمناهج، لقد كان السيد محيي الدين والد الأمير عبد القادر من الشخصيات المهمة في التأثير على ابنه الأمير، وكان رجلاً مهاباً محترماً، ليس لكونه قادرياً كما تردده أقلام الدعاية -فقط- وإنما لكونه عالماً فقيهاً وحكيماً وشجاعًا، امتاز بالأخلاق الإسلامية، والصفات الحميدة، والنبل الكريم، وعلو منزلته العلمية، وهيبة قبيلته بني هاشم التي يمتد نسبها إلى الأدارسة وحتى عند ولاة العثمانيين كانت له منزلة خاصة، وكان مرهوب الجانب من قبلهم جميعًا بدافع تقدير ومحبة، فأمر طبيعي ظهور هذه الآثار الوراثية على أولاده، ومنهم الأمير عبد القادر، فقد برزت هذه الآثار على الأمير في سن مبكرة، من ذكاء ومواهب فكرية وسرعة بديهة وشجاعة ومهارة بفنون الفروسية، من ركوب الخيل والسباحة واستعمال السيف، إلى جانب نفسٍ أبِيَّةٍ وإيمان قوي ومحبة وجدانية وعقلية لخالق هذا الكون ومبدع تلك الطبيعة الغناء التي نشأ في أحضانها، فالحياة البسيطة في هذه المزرعة والمناخ السياسي الذي نشأ فيه، كان صحياً ومتماسكًا في جزء من دولة كبرى أمنت الاستقرار والازدهار للجزائر وحاربت البدع وأصحابها."[37]

---

[36]- علي الصلابي (2018م) مرجع سابق.

[37]- علي الصلابي (2018م). مرجع سابق.

وفي الحديث عن جهاده ضد المستعمر الفرنسي نرى أنه "لما احتلت فرنسة بلاد الجزائر بدأ الأمير جهاده الشعبي ضدَّ الفرنسيين بين عامي (1830-1832م) ثم بايعه الجزائريون وولَّوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم، وقاتل الفرنسيين. اتخذ مدينة معسكر عاصمة لإمارته وتالت انتصارات الأمير، فاضطرَّ الجنرال الفرنسي ديمشيل (Desmichel) حاكم وهران أن يعقد معه معاهدة في 27شباط-فبراير 1834م فصرف الأمير همَّه إلى إنشاء دولة قوية متحدة لها كيانها ودستورها ونظامها، وعمل على إصلاح الأحوال، وتنظيم الجُند، وضرب نقودا سمَّاها ((المحمدية)). ولما هادن سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام الفرنسيين، ضعف أمر الأمير، فاشترط شروطا للاستلام رضي بها الفرنسيون فاستسلم في 15 المحرم 1264هـ 1847م فنفوه إلى طُولُون ومنها إلى أمبواز حيث أقام نيفاً وأربع سنين، وفيها زاره نابوليون الثالث فسرَّحه من الاعتقال، مشترطا عليه أن لا يعود إلى الجزائر، ورتب له مبلغا من المال يأخذه كل عام. زار باريس والآستانة وبروسه ثم استقرَّ في دمشق عام 1272هـ/1856م وأقام فيها حتى فاته"[38].

ومنه "فقد كانت حياة عبد القادر سيرته الشخصية انعكاسا لصورة عصره. وقد أدرك هو هذه الحقيقة وعبر عنها بقوله: ((**انني لم أصنع الأحداث، بل هي التي صنعتني، إن الإنسان مثل المرآة، والمرآة لا تعكس الصور الحقيقية إلا إذا كانت واضحة وصافية**)) غير أن الأخذ بهذه المقولة –حتى لو جاءت على لسان الأمير ذاته- يحتمل تفسيرا سلبيا، وهذا التفسير يناقض الواقع. فالأمير لم يكن مجرد -مرآة- سلبية تعكس أحداث بلاده وأحداث العالم، وإنما كان يمارس دورا إيجابيا في (تصنيع الاحداث) وتشكيلها. ومن هنا، فقد كان الأمير عبد القادر في حياته العامة فاعلا ومنفعلا، مؤثرا ومتأثرا، وعبر هذا التفاعل الدائم والمستمر ظهر الأمير عبد القادر، لا ليطفح فق سطح الأحداث، وإنما ليسير مع أعمق تياراتها في محاولة منه لتحقيق الهدف الثابت (رفع راية الإسلام والمسلمين) والدفاع عن (قضية الإسلام والمسلمين) تجاه أشرس حملة صليبية عرفها التاريخ في القديم الحديث"[39].

ومن خلال ما سبق وما استقرأنا في تاريخ الأمير نرى "إنّ تاريخ الأمير عبد القادر تاريخ عظيم ومشرّف، وهذه حقيقة لا يستطيع إنكارها أو التّشكيك فيها إلاّ جاحد ومكابر. فالنّاظر والمتفحّص في تاريخ الأمير عبد القادر يخرج بحقيقة واحدة هي إيمانه بالإنسان وما يمكن أن يقدّمه للإنسانية، إذ يشهد التاريخ للأمير عبد القادر مخاطرته بحياته وموقفه الشّجاع عندما تدخّل سنة 1860 في دمشق ليضع حدًا للصّراعات الطّائفية الّتي وقعت بين المسلمين والمسيحيين، حيث أسهم في إنقاذ أكثر من 15000 مسيحي. وقد مدح قيصر روسيا الأمير عبد

---

[38]– فؤاد صالح السَّيِّد (2010م). مرجع سبق ذكره. ص399.

[39]– بسام العسلي(1986م). **الأمير عبد القادر الجزائري**. ط3. عمان: دار النفائس. ص7، 8.

القادر لعمله الإنساني هذا فقال: "نحن إسكندر جميع الروسيين، إلى الأمير عبد القادر: اقتضت رغبتنا أن نشهر التفافنا إليكم لشهامتكم وعملكم بما اقتضته الإنسانية، واجتهادكم في إنقاذ ألوف المسحيين من أهالي دمشق الّذين وجدوا في خطر عظيم".

قدَّم الأمير عبد القادر للإنسانية دروسًا في التّسامح والتّعايش السّلمي والأمن والاستقرار واحترام حقوق الإنسان، فهو يعتبر بحقّ رجل الإنسانية جمعاء وشعوب العالم أينما كانت وأينما وجدت، حيث اعتبر أسقف الجزائر "هنري تيسييه" الأمير عبد القادر من المؤسّسين الأوائل لفكر وثقافة التّسامح ما بين الدّيانات ولحقوق الإنسان واحترام الشّعوب والحضارات.

لم يكن الأمير عبد القادر بالرّجل العادي، بل كان يفكّر بعمق ويطلق العنان لفكره إلى الأعلى فكان مفكرًا تنويريًا، بل تقدّم فكره التّنويري المرحلة الّتي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، ورسم طريقًا لمَن يأتي بعده، لكن الّذين كانوا يحيطون به لم يستوعبوا نظرته للمستقبل، وحاولوا إجهاض محاولة بناء الدولة الجزائرية، فقد وضع الأمير عبد القادر الأسس الأولى لدولة جزائرية محدثة ومعاصرة، حيث أنشأ إدارة مهيكلة، وأقرّ مبدأ المساواة في الضّرائب، ملغيًا الامتيازات القديمة.

وقد غلبتْ الصّفةُ السّياسية على الأمير عبد القادر بن محي الدّين الحسني، فلا نكاد نجد في الكتب الّتي تؤرّخ للنّهضة العربية ذِكْرًا لهذا الأمير إلاّ وهو مرتبط بثورته ضدّ فرنسا، ومساعيه السّلمية ورحلاته السّياسية.

والحقّ أنّ عبد القادر الجزائري –إلى جانب هذا كلّه– رجل فكر متبحِّر في علوم الدّنيا والدّين. وقد كانت له آراء خاصة في قضايا العقل والأخلاق واللّغة والتّصوّف، ما يجعله قمينًا بأن يُدرَج في عداد رجالات النّهضة المبكرين، على تمايزه عن جلِّهم بأنّه رجل سياسة وفكر في آن.

وكان الأمير ينشد توحيد الشّعب الجزائري وتوعيته، وإلحاقه بركب العالم المتقدم، وبناء دولة تجمع بين الإسلام وحاجات العصر. وكان الهدف الأسمى والأشمل لعبد القادر هو جعل عرب وأمازيغ الجزائر شعبًا واحدًا ودعوتهم للمحافظة التّامة على دينهم، وبعث روح الوطنية فيهم، وإيقاظ كلّ قدراتهم الهامدة، سواء للحرب أو للتّجارة أو للزّراعة أو للأخلاق والتّعليم.

وكان الأمير عبد القادر نموذجًا ومثالاً للخصائل الأخلاقية الرّفيعة والقتالية المحترفة، فقد أثار في نفوس جنوده وضبّاطه ومواطنيه صورًا رائعة للتّفاني والإخلاص في خدمة القيم والمبادئ، والحرص على تحرير الوطن من المحتلين الغُزاة، ويقرّ كلّ كُتّاب سيرته، بمن فيهم الفرنسيون، أنّه كان نزيهًا، وأنّه كان يملك أقصى درجات الشّعور بمكانة وقيمة الأموال العامة، وأنّه لم يعرف سوى خدمة القضية الّتي كان يعلم أنّها عادلة، ضاربًا بذلك أسمى مثال للتّفاني والشّجاعة الخارقة.

ولقد اعترف خصومه القادة العسكريون بعبقريته الفذّة، وأظهروا إعجابهم بالأمير، مثل المارشال «بيجو» و«لامورسيير» و«شاغارنيه»، وقد قال الجنرال بيجو عن الأمير عبد القادر: "خصم صنديد نخشى بطشه. "

ومع كلّ هذه الخصال العظيمة الّتي تميّز بها هذا القائد العظيم، فقد تعرّض لحملات تشويه مركّزة ومنظمة، واتّهموه بوحدة الوجود وتأثّره بفكر ابن عربي، وثبت بالدّليل والبُرهان بطلان الكثير ممّا نُسب إليه، وبراءته من عقيدة وحدة الوجود والانتساب إلى المحافل الماسونية.

إنّ الأمير عبد القادر اشتهر بين النّاس بنزعته الإسلامية، واهتمامه بالقرآن والسُّنّة والتّصوّف السّنّي الرّشيد على نهج الشّيخ عبد القادر الجيلاني الّذي أثنى عليه علماء السّلف، من أمثال ابن تيمية وابن القيم وغيرهم كثير.

إنّ حياة الأمير صفحة مفتوحة للباحثين ناصعة البياض نقية طاهرة، واتّهامات أعدائه الباطلة تتساقط أمام الحقائق الرّاسخة وتتلاشى مع الحجج الدامغة، وتذهب جفاء لأنّها زبد، وسيرته العطرة تبقى خالدة في معانيها وقيمها ومبادئها لأنّها تنفع النّاس. وإنّ مواقف الأمير عبد القادر وإنجازاته وخدماته لهذا الوطن لجديرة بالدّراسة والبحث والنّشر، فهو نموذج للقائد القدوة والمجاهد المخلص الّذي نفتقده في هذه الأيّام العصيبة الّتي تمرّ بها أمّتنا العربية والإسلامية.

ومن هنا، أوصي بضرورة تكثيف الأبحاث والدّراسات والملتقيات والنّدوات المتعلّقة بهذه الشّخصية القيادية الفذّة، كما أهيب بوسائل الإعلام بأنواعها الاعتناء بهذه السِّيرة العطرة الّتي ميّزت حياة الأمير عبد القادر الجزائري، ونشرها بطرق ووسائل متنوعة، مقالات، تحقيقات، حوارات، معارض، أفلام توثيقية وسينمائية، تذكّر الأجيال بمآثر هؤلاء الرّجال العظماء الّذين رفعوا مكانة هذا الوطن الغالي والعزيز."[40]

تصوف الأمير:

"يبحث الكثير من العلماء والباحثين وكذا المتصوفين في خاصية التصوف لدى الطريقة القادرية، خاصة أنها جمعت بين عديد المقومات التي أهلتها لأن تكون المنهج الشامل باعتراف المختصين، آثرنا التقرب أكثر من أهل الاختصاص على هامش الملتقى الدولي "الأمير عبد القادر رجل لكل الأزمنة"، فكانت لهم وجهات نظرهم الخاصة.

ارتأينا أن نبدأ مع شيخ زاوية الهامل، الشيخ محمد المأمون القاسمي، الذي اعتبر أن المنهج الصوفي للأمير عبد القادر، كان مهتديا فيه بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، والحياة

[40]- عبد الحق حميش(2018م). **إسهامات الأمير عبد القادر الفكرية وأثرها الحضاري والإنساني**. موقع جريدة الخبر. تاريخ الاطلاع: 2020/12/26م. رابط الموضوع: https://www.elkhabar.com/press/article/137009

الصوفية الروحانية للأمير جمعت بين العديد من خاصيات الرجل، بالإضافة إلى أن الأمير استطاع خلق التوازن بين جانبه الروحي والقيم المادية، والطريقة القادرية تمكنت من بناء الحياة الإسلامية المتكاملة التي وازنت بين الجانب التشريعي والجانب الروحي في الإسلام.

"الطريقة القادرية وازنت بين الجانبين التشريعي والروحي في الإسلام "

أضاف الشيخ أن الأمير رسخ للمنهج الصوفي المبني على العلم والمتفتح على كل الثقافات، رغم أن لكل طريقة منهجها المميز لكن المنطلق واحد، وما قدمه الأمير للصوفية هو أنه جمع بينها وبين ممارسته للسلطة، وبذلك ساهم في إخراج الطريقة القادرية من حيز التداول في الجزائر إلى الاحتكاك بالثقافات الأخرى وجعلها محور العديد من النقاشات عبر العالم.

عباس السباعي:"التصوف عند الأمير مبني على الاجتهاد العلمي "

يرى عباس السباعي أن التصوف عند عبد القادر هو تصوف راسي، على اعتبار أنه ورث ذلك من جده مؤسس الطريقة القادرية في الجزائر، وانتقلت هذه الوراثة إلى أن وصلت إلى الأمير عبد القادر الجزائري، وزادت نشاطاته في الدول العربية وفي بلاد الشام، خاصة أنه ساهم في جانب كبير من التحول الإسلامي في الجزائر، العالم العربي خاصة منها بلاد الشام، فرنسا، وتركيا، فاستطاع بمقدرته وذكائه الفلسفي والعلمي أن يكتسح عقول الناس عبر العالم، ومكنه دبلوماسيته من تحقيق التفاف جماهيري واسع.

وأضاف السباعي أن ميزة التصوف عند الأمير هي أنه استعملها أحسن استعمال في نشر الدعوة الإسلامية، مستعملا اجتهاده العلمي والجهاد لنصرة الطريقة الصوفية.

حكمت ساري:"التصوف عند الأمير أسس للدبلوماسية الحديثة""[41]

3- أثاره :

1- بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب.

2- The Spiritual Writings of Amir ʿAbd Al-Kader

3- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل

4- بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب

5- رسالة الى الفرنسيين: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل

6- المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف

7- السيرة الذاتية للأمير عبد القادر

8- مذكرات الأمير عبد القادر: سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة ... تنشر لأول مرة

[41]- موقع جزايرس(2012م). مختصون يؤكدون "التصوف عند الأمير عبد القادر منهج شامل لكل الطرق " على هامش الملتقى الدولي "الأمير رجل لكل الأزمنة" تاريخ الاطلاع: 2020/12/26م رابط الموضوع https://www.djazairess.com/alfadjr/207304

المحاضرة الثالثة: من أعلام الدعوة في الجزائر: الشيخ عبد القادر المجاوي

تزخر الجزائر بعدة أعلام دينية وإصلاحية في المجالات المتعدة أناروا العقول وأزالوا الغموض بما فتح عليهم الله عز وجل من بحر عرفانه وعلمه، ومن جملة هذه الشخصيات شخصية عبد القادر المجاوي وهي شخصية إصلاحية دعوية اهتمت بشأن الاصلاح الاجتماعي والمشاركة في الجوانب السياسية بما يخدم الدين والوطن وفق معطيات الفكر الرشيد الذي يحكم العلاقة بين المعادلات الحياة في الجانب الروحي والجانب المادي، ومنه "يعد الشيخ عبد القادر المجاوي علم من أعلام الجزائر الذين كانت لهم بصمات في الحياة الثقافية، وتأثيرات عميقة في بعث الحركة الاصلاحية فيها، ورمز من رموز الصمود أما الاستعمار الفرنسي نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، من العلماء المصلحين الذين كان لهم الفضل السبق في شّق الدرب الذي سار عليه زعماء الحركة الاصلاحية في الجزائر لاحقا."[42]

1- نشأته وعوامل تكوينه.

"هو الشيخ عبد القادر المجاوي ابن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمان المجاوي، نسبة لقبيلة مجاوة، ولد بتلمسان عام 1266هـ/1848م من أسرة تلمسانية عريقة، وتلقى بها دروسه الأولى وعلى رأسها حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم تابع مساره الدراسي متنقلا بين المدن المغربية (تطوان، طنجة وفاس) وغيرها للتحصيل العلمي ما بين سنتي (1855-1868م) ولعل سبب هجرة عائلته إلى المغرب راجع للسياسة الاستعمارية التي طبقتها فرنسا على الجزائريين خاصة «التعليمية والقضائية»، وختم رحلته التَعُلمية تلك بجامع القرويين أحد القلاع العلمية الرائدة بالمغرب الأقصى وأقدم جامعة إسلامية واستزاد خلال مساره ذاك بآداب اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية من فقه وفرائض وحديث وتفسير، بالإضافة إلى المنطق والتصوف والتاريخ والحساب والفلك.. إلخ، فأجيز للتدريس لقوة شخصيته وفصاحته وتواضعه وقدرته على الصبر والمثابرة، ومن شيوخه نجد الفقيه محمد العلوي الفاسي والشيخ محمد قنون والعلامة محمد بن سودة ومحمد بن جعفر الكتاني والشيخ أحمد بن الحاج.. ووغيرهم، وذكرت بعض الكتابات أنه بعد انتهاء دراسته قد قصد البيت الحرام لأداء فريضة الحج ويكون قد أثار انتباهه الحراك الثقافي والاصلاحي

[42]- سليم أوفة(2016) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م). ص69.

بالمشرق العربي وثراء الحياة الأدبية هناك فعاد إلى بلاده وكله عزم وأمل للمساهمة في نهضة وطنه"[43]

وبعد طي الصفحة الأولى من عوامل تكوينه العلمي "قرر الشاب عبد القادر العودة لوطنه من أجل خدمته والتدريس به لإعادة اللغة العربية لمكانتها الطبيعية بعدما أصبحت شبه لأجنبية، واستقر بقسنطينة سنة 1869م مدرسا بمساجدها، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا اختار عاصمة الشرق الجزائري كوجهة له رغم أنه تلمساني، ونجد أجوبة غير مقنعة عند «الحفناوي» الذي ذكر بأنه تلقى دعوة من أهلها دون توضيح مصدرها، أما «محمد علي دبوز» فيقدم إجابة تبدو أقرب للواقع وهي أنه رآها أكثر استعدادا للنهضة الثقافية"[44] .

"وفي سنة 1877 وبعدما بلغ المجاوي سن 39 من عمره، تولى تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية في المدرسة الكتانية، وأصبح مشهورا فحجَّ إلى دروسه طلاب العلم، وكان أشهر تلامذته حمدان لونيسي، ومولود بن موهوب، ويصف لنا « أبو القاسم سعد الله » حالة حاضرة الشرق قبل وصول الشيخ المجاوي إليها قائلا: «وهكذا جفت ينابيع العلم الحر، وغاصت بحور الفكر، وكاد هذا الليل الطويل ألا ينجلي لولا نفحة هبت من الغرب..» ونعي بذلك حلول عبد القادر المجاوي للتدريس في أحد مساجدها، كما عينته الإدارة الاستعمارية مدرسا في المدرسة الفرنسية الشرعية بنفس المدنية سنة 1878 لعزله عن الناس من جهة، ولإنجاح مشروع المدارس الإسلامية باستقطاب أكبر عدد من الجزائريين النافرين منها، وقد أسندت له الدروس الشرعية واللغوية فيها، لينتقل بعدها الشيخ عبد القادر المجاوي من قسنطينة إلى عاصمة البلاد مدينة الجزائر سنة 1898، كان قد بلغ سن الخمسين من عمره، فازدادت مسؤولياته فيها، وتنوع نشاطه الاصلاحي بها مواصلا مهمته دون كلل أو ملل، وتوزعت جهوده العلمية والفكرية في عدة ميادين وهب التربية والتعليم والصحافة والتأليف وغيرهما"[45]

[43]- سليم أوفة(2016م) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م). المرجع نفسه. ص69.

[44]- سليم أوفة(2016م) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م) ص69.

[45]- سليم أوفة(2016م) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م). ص70 .69

- **منهجه في الدعوة وخدمة الإسلام وأبعاد دعوته**

لقد تبصَّر الشيخ المجاوي خلال مسيرة الحياة الدعوية من أجل المحافظة على كيان الدين وأركان الإسلام، حيث "انتقل الشيخ المجاوي إلى العاصمة للتدريس بالمدرسة الثعالبية بطلب من الإدارة الاستعمارية، وقد يكون ذلك بهدف وضعه تحت رقابتها المباشرة من جهة، ولتشتيت جهوده وتحجيم دوره التربوي الذي بدأ يعطي ثماره في قسنطينة من جهة أخرى وواصل عبد القادر نشاطه فيها وساهم في تدعيم الجو الثقافي بها، إلى جانب كوكبة من الأساتذة أمثال: عبد الحميد بن سماية، والمفتي السعيد ابن زكري، والشيخ الحفناوي...وكانت العاصمة في هذه الفترة تعاني من الجهل وآثاره والفساد المنتشر بها بدرجة كبيرة فكان عليه مضاعفة جهوده الاصلاحية فاهتم بالتربية الدينية والخلقية، وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس تلامذته. كما أثر على الحياة الثقافية في العاصمة عن طريق المؤسسات والنوادي والجمعيات، فازداد نشاطه وإشعاعه في مجال الاصلاح والتربية، فدرَّس طلبة القسم العالي «الدراسات العليا»، واستطاع أن يقيم توازن خفيا في المدرسة ضد التيار الاستشراقي الضارب بقوة فيها، والمدعم من الإدارة الاستعمارية بحكم قرب المدرسة من دوائر السلطة الحاكمة في ميدان الجزائر، وإضافة إلى مهنة التدريس أوكلت إلى الشيخ المجاوي مهمة الإمامة والوعظ بمسجد سيدي رمضان وسيدي محمد الشريف ابتداء من سنة 1908م"[46].

ومن جملة أبعاد دعوته وسر شخصيته الاصلاحية استطاع التأثير بشكل مباشر في المحيط العلمي الذي أقامه نخبة من تلامذته بحيث استطاع أن يأثر فيهم ليكونوا خير خلف لخير سلف، وفي ذلك "ترك الشيخ المجاوي عددا مهما ومميزا من التلاميذ والمقربين والمتأثرين بفكره وشخصيته الأصيلة المتفتحة في الجزائر والذين اجتمعوا حوله ينهلون من فيض علمه ويستفيدون من حسن وعظه، فأصبح لدروسه صدى واسع وكبير تعدى محيط الثعالبية إلى مجالس أخرى تداول العاصميون عليها بكثرة وأبرز من تخرج على يديه نذكر: الشيخ عمر بن دراجي قاضي الحنفية بالجزائر، والشيخ السعيد بن زكري المدرس بالثعالبية ومديرها بعد ذلك، والشيخ محمود بن دالي المعروف بمحمود كحول وصاحب جريدتي كوكب إفريقيا والتقويم الجزائري، كما حضر مجلسه مؤقتا المصلح الشيخ إبراهيم الطفيش في عام 1910م والذي

[46]- سليم أوفة(2016م) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م). ص70.

أرسل عددا من طلبته النجباء في ميزاب الدراسة على يد الشيخ المجاوي، وأصبحوا فيما بعد رمز الاصلاح الإباضي الإسلامي"[47].

ومن هنا نبرز أبلغ كلمة إصلاحية ضمن أبعاد دعوته والتي أفرغ من أجلها جل وقته وهي المحافظة على الهوية الدينية والوطنية للفرد المسلم والجزائري خاصة "ولعل أكبر مجال تصدى له الشيخ المجاوي هو محاربة التجنيس والتفرنج والاندماج والالحاد رغم قوة تياره وتبني الإدارة الاستعمارية له، فقد كان معتزا بالحضارة العربية الإسلامية والهوية الجزائرية فحافظ على لباسه التقليدي الأصيل، رغم عمله في الأوساط الفرنسية، ودعا إلى الاعتزاز بالماضي والنهوض والتقدم مع الاهتمام باللغة العربية، وفي ذلك يقول «أعلم أن اللغة العربية هي أقدم لغات العلم المستعملة الآن فهي أفصح اللغات منطقا وبيانا وأكثرها استعمالا في أساليب الكلام وتفننا في النثر والنظام..»"[48] .

من ثمرة جهوده في سياق المعرفة وإيصال الرسالة الدعوية، دعوته إلى اغتنام العلم باعتباره الوسيلة الفعَّالة التي يتم من خلالها معرفة حقوق الله تعالى علينا واجباتنا تجاه الله ع زوجل والدين والإسلام، وبناءً على هذا "دعا إلى طلب العلم وألحَّ على ذلك بقوله «..ولقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين، حتى أن أهل قطرنا من إخوتنا المسلمين القسنطينيين والجزائريين والوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل.. »، وقد ربط طلب العلم بطاعة الله، وصنفه من الفرائض التي تلزم الجميع، كما طلب من المتعلم أن يتعلم ما يفيده من علوم الدين والدنيا بداية بالقرآن الكريم والعربية ثم الطب، الحساب، الهندسة، الزراعة، السباحة، والفروسية ..وغير ذلك من العلوم، وقد استفادت الجمعيات كالرشيدية والتوفيقية في العاصمة من نشاط ومحاضرات الشيخ المجاوي التي كان يلقيها بها، والمتمحورة حول طلب العلم والأخذ بالتقدم والاعتزاز باللغة العربية.. كما كان يرى أن العالم الإسلامي محكوم عليه بالبقاء في دائرة التخلف مكبّلا بأغلال الجهل والأمية إن لم يل أهمية بالتعليم الجاد المقرون بالعمل المتقن حيث يقول «..هيهات أن يستقيم حال المسلمين إلا بالرجوع إلى التربية وتعلم العلم اليقيني

[47]- سليم أوفة(2016م) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م). ص70.

[48]- سليم أوفة(2016م) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م). ص71.

على قانون الشرع المتكفل بترجيح الأعمال واشراب العقول وحب المسابقة إلى الفضيلة التي هي العدل في سائر أعمال الإنسان..»"[49]

من معالم دعوته التركيز على النهضة العلمية ضمن المستوى الثقافي وكذلك التركيز على مقومات الفكر الاصلاحي وفي هذا السياق "كان الشيخ عبد القادر المجاوي يرى أن النهضة بالجزائر لا تقوم إلا بالعلم، ولذا استمر بالتدريس بالمساجد من أجل اسماع كلمته لكل الجزائريين، رغم أن الإدارة الفرنسية قد عيّنته في كرسي التدريس بمدرسة مسجد سيدي الكتاني ثم بالمدرسة الشرعية بقسنطينة سنة 1877.

وفي سنة 1898، نقلت الإدارة الفرنسية الشيخَ المجاوي إلى مدينة الجزائر عزلا له كما مر بنا، تحت غطاء التشريف والأوسمة التي منحت له فيما بعد. فبقي فيها أربع سنوات دون أي وظيفة رسمية، وهو الحيوي الحركي، ولم يجد سوى التنسيق مع الشيخ عبد الحليم بن سماية، والتدريس في المدرسة العربية بباب الوادي، وربما بعض النشاطات الحرة في مساجد العاصمة ومنها نشر مقالاته الصحفية بجريدة "كوكب إفريقيا" وكذا جريدة "المغرب".توفي الشيخ عبد القادر المجاوي سنة 1332 هـ/ يوم 06 أكتوبر 1914 ، وهناك من يعتبر وفاته سنة 1913 لكنه مستبعد لاقتران ذكر جنازته في صحيفة الفاروق كما يمر بنا. وقد مات مسموما على رواية أحد تلاميذه وهو الشيخ الفاضل إبراهيم أطفيش، وقد دس له السم في القهوة بملتقى بقسنطينة. وقد رثاه العلماء وعددوا خصاله ومناقبه وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، كما حضر جنازته جمع غفير تحدثت عنه جريدة الفاروق في عددها 81 الصادر في أكتوبر من السنة نفسها.

كان للشيخ المجاوي فكر يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فمن جهة كان رجل علم ودين وأخلاق فاضلة على نمط العلماء السابقين، ومن جهة أخرى كان رجلا حداثيا يرى أن التطور والتقدم مبناه نهضة الأمة التي لابد أن تقوم على العلم والأخلاق الفاضلة والجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية والجمع بين اللغة العربية ودراسة اللغات الحية. وقد ساعدته عوامل كثيرة حتى صار على هذا المنحى:

1- انحداره من بيت علم وشرف ونسب.

[49]- سليم أوفة(2016م) الشيخ عبد القادر المجاوي واسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1844م – 1914م). ص71

2- العلماء العاملين الذين درس عليهم بفاس وبالقرويين وكان أغلبهم من تلامذة والده.

3- حرصه على أن يكون قدوة لأتباعه وخلفا صالحا لسلفه وهو الأب الرجل الفاضل العالم القاضي، شيخ علماء تلمسان.

4- زواجه من عائلة البوطالبي.

5- المكانة العلمية لحاضرة قسنطينة مقارنة بباقي مناطق الوطن، وربما كانت هذه المكانة هي السبب الذي جعل المجاوي يعود من المغرب إليها بدلا عن حواضر أخرى أهمها مدينته الأصلية تلمسان.

6- إيمانه الراسخ أن النهضة لن تكون إلا بالعلم الديني والدنيوي والأخلاق الفاضلة.

وبفعل نشاطه هذا، وصفه الشيخ عبد الحميد بن باديس بقوله:" أيها الإمام الذي ببزوغ شمسه تمزقت سحب الجهل، وبدت غرة العلم المعين، أنت الذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة ..." أما تلميذه الوفي الشيخ المولود بن الموهوب فقد وصفه بقوله:"هذا عبد القادر الذي أكرمنا الله بقدومه من تلمسان منذ خمس وأربعين من السنين، فأحيى القلوب كالغيث بعد القحط، رحم رب العالمين هذا الشريف عبد القادر الحسني الذي جاءكم بلوعة من المعارف والعلوم، وبثها ونشرها ولم يبخل بها على الخصوص والعموم. هذا عبد القادر صاحب الأخلاق الطيبة الذي نور العقول ... هذا عبد القادر النصوح الذي زين الوطن الجزائري تلامذته، وعمت بعلمه كل جهة ببركته. هذا أستاذ الجميع عبد القادر الذي ما من عالم إلا وله فضل عليه."

وإضافة إلى نشاطه الدؤوب كان للشيخ عبد القادر المجاوي ركيزتان أخريتان للتأثير في أحداث النهضة الجزائرية الحديثة. تمثلت الركيزة الأولى في مؤلفاته الهامة، أما الركيزة الثانية فكانت تلاميذه الذين ملأوا الأرض علما بعدما حاولت الإدارة الاستعمارية أن تملأها جهلا.

الركيزة الأولى: آثار المجاوي (مؤلفاته):ففيما يخص الركيزة الأولى وهو مؤلفاته، ألف الشيخ المجاوي مؤلفات كثيرة تميزت بفائدتها الكبيرة للطلبة والدارسين، كما أنها مادة خام لتحقيق النهضة العلمية للجزائر، خاصة وأنها مطبوعة اليوم كلها تقريبا. وهذه المؤلفات هي: الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، كشف اللثام عن شواهد قطر ابن هشام، شرح نظم المجردية في الجمل، الدرر البهية على القصيدة المجرادية، نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف، تحفة

الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار، اللُّمع على نظم البدع، ارشاد المتعلمين، الإفادة لمن يطلب الاستفادة، شرح منظومة المنزلي، المرصاد في مسائل الاقتصاد، الفريدة السَّنيَّة في الأعمال الجَيْبيّة، المنظومة المرْضية في المسائل النجومية ...الركيزة الثانية: تلامذة الشيخ المجاوي:أما فيما يخص الركيزة الثانية وهي تلامذته، وحتى لا أطيل الكلام عن العلماء المعروفين وهم أساتذة الشيخ ابن باديس من مثل الشيخ ين عبد الحليم بن سماية والشيخ حمدان لونيسي، أو الشيخ مولود بن الموهوب شيخ مالك بن نبي."[50]

وفي الأخير ومن خلال ما سبق من معطيات مطوية شخصية المجاوي نستنتج: "تكوّن الشيخ عبد القادر المجاوي بالمغرب الأقصى بجامعتين من أكبر الجامعات الإسلامية آنذاك وهما جامعة فاس، وجامعة القرويين، ونهل منهما. فكانتا أهم روافد فكره وغرستا فيه توجهه الفكري الذي سار عليه. كما كانت أسرته، وشيوخه، وبيئتا المغرب والجزائر، وتراث الحضارة العربية والإسلامية، وأساليب القمع الاستعماري ومحاولاته لمسخ الشخصية الجزائرية... كلها من روافد فكره وعوامل تكوين شخصيته وقناعاته التي صار عليها. فعمل جاهدا على بث الوعي النهضوي بالجزائر من خلال نشاطه الكثير بالمساجد والمدارس والصحافة والنوادي والجمعيات. وبنشاطه هذا، ترك الشيخ المجاوي ركيزتين أساسيتين كانتا من بناة نهضة الجزائر، تمثلت الركيزة الأولى في مؤلفاته فيما تمثلت الركيزة الثانية في تلامذته من بعده. "[51]

50- مصطفى عبيد (2019م). الروافد الفكرية للشيخ عبد القادر المجاوي وأثرها في توجهه وجهوده من أجل نهضة الجزائر 1870-1914 م. موقع عبد الحميد بن باديس. تاريخ الاطلاع: 2021/01/13م رابط الإضافة https://binbadis.net/archives/8925

51- مصطفى عبيد (2019م). الروافد الفكرية للشيخ عبد القادر المجاوي وأثرها في توجهه وجهوده من أجل نهضة الجزائر 1870-1914 م. موقع عبد الحميد بن باديس. تاريخ الاطلاع: 2021/01/13م رابط الإضافة https://binbadis.net/archives/8925

المحاضرة الرابعة: الشيخ عبد الحليم بن سماية

من إعداد: د. امحمد دراوي – جمع وتقديم: د. السعيد مسعي محمد

يعتبر الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866-1933) من أعلام الإصلاح في الجزائر خلال أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ،ينتمي للرعيل الأول الذي أسس للفعل الإصلاحي رفقة رواد الإصلاح كالمجاوي وابن الموهوب وابن الخوجة ،وعلى الرغم من كونه قليل التأليف والتحرير الا انه كان مؤلفا للعقول بالتعليم والإصلاح .حيث اشتغل مدرسا لمواد الفقه واللغة في المدرسة الثعالبية وفي نفس الوقت إماما وخطيبا بمساجد العاصمة.

تميز الشيخ ابن سماية إضافة إلى ضلوعه بعلوم عصره بالإلمام بما يجري من حركية ثقافية وإصلاحية مشرقا ومغربا ،له اتصال واسع بأساطين الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي وهو من مستقبلي ومريدي الشيخ محمد عبده ،اتصل به بواسطة تأليفه وما يكتب عنه في المنار واتصل به ولازمه خلال فترة إقامته بالجزائر في صائفة 1903م.

عرف ابن سماية بثباته على الحق وانتصاره للقضايا العادلة ومواجهته للإدارة الاستعمارية ،ويعرف ذلك من خلال مقالاته التي كتبها في جرائد تلك المرحلة ،كما شهد له معاصروه بمعارضته الشديدة لقانون التجنيد الإجباري الذي سعت السلطات الاستعمارية لتجسيده منذ 1907م على المسلمين الجزائريين ،ولعله من الأسباب التي دفعته لطلب السفر بنية الإقامة ببلاد الشام وربما كانت ضغوط الحياة وألم الاحتلال من العوامل التي أثرت سلبا على صحته النفسية والعقلية في آخر عمره ،ولازمه حتى وفاته في 1933م.

1-نبذة عن حياته :

هو الشّيخ عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمان بن حسن خوجة وخدوجة بنت امير خوجة، وتدعى خداوج من آل الشيخ مصطفى بن لكبابطي اخر مفاتي المالكية بالجزائر على عهد الاتراك[4]،ولد في الثاني من شهر سبتمبر سنة 1866 م[5]، ينتمي لعائلة من أشهر العائلات العاصميّة، المنحدرة أصلها من بلدة أزمير التركيّة، وتنتسب إلى حسن خوجة قاطع السكة بدار الإمارة على عهد الأتـراك،اعتنى والده بتربيّته تربية دينيّة وخلقيّة سليمة، فعهد به إلى كتاتيب القرآن ومجالس العلم، ينهل منها شتّى المعارف والعلوم الدينيّة واللّغوية (كالعربية والفقه والتوحيد ..) وعلوم أخرى (كالفلك والمنطق والحساب...) التي كانت سائدة في عصره،ثم انصرف إلى دراسة الفلسفة فشدّ الرّحال إلى تونس ليتلقّى العلم على يد الشيخ محمد بن

عيسى الجزائري، وكان صديقا لأبيه، كما أخذ عن الشّيخ محمد المكّي بن عزّوز، خلال زياراته المتكررة من تونس إلى الجزائر.[6]

تشير الوثائق إلى أن الشيخ عبد الحليم بن سماية أصيب بمرض عقلي منذ العام 1930 م،ففي شهر ماي من تلك السنة طلب الشيخ من إدارة المدرسة الثعالبية التي يشتغل بها، عطلة مرضية لمدة شهرين، أرفقها بشهادة طبية من الدكتور بوركايب، ومنذ ذلك الوقت تدهورت صحة الشيخ بشكل لافت، وتشير التقارير المختلفة الى "انه لا يتمتع بكامل قواه العقلية".[7]

في شهر نوفمبر من سنة 1930 اي خلال الدخول المدرسي للسنة الدراسية 1930-1931 لم يطرأ أي تحسن على صحة الشيخ، بل تشير بعض التقارير إلى انّه صار لا يكترث لحاله وهندامه، وانه يُرى دوما يسير راجلا أو على صهوة جواده ذهابا وإيابا خارج العاصمة، نحو الدويرة وبوفاريك والبليدة وحتى المدية [8]، ما دفع بابنه إلى مراسلة الإدارة لتمديد العطلة المرضية ثلاث أشهر أخرى .وهو الأمر الذي دفع بإدارة المؤسّسة لاستخلافه بأحمد بن زكري وحمود وبن زراق. توفي الشيخ بن سماية في 5 رمضان 1351هـ/الموافق ل1933/1/2.[9]

ثانيا-ابن سماية العالم المعلّم:

تولّى الشيخ ابن سماية خطّة التّدريس بالجامع الجديد في نوفمبر سنة 1892م [10]خلفا لوالده علي بن سماية الذي تخلى عن التّدريس لدواعي صحيّة، وبإفادة من المفتي الحنفي محمد بوقندورة [11]،كما قدم طلبا للالتحاق بالمدرسة الثعالبية في عهد مديرها السيد "دولفان" بتاريخ 3 سبتمبر 1895م، وقد جاء في نص الرسالة قوله:" إني أقدم رغبتي لديكم في أن أقلد فيها خطة التدريس فيما تشاءون من العلوم العربية.." كما ابرز مركز أسرته في العاصمة بقوله :"ولم يعرف عني ما يشينني بين الناس مذ عقلت، على إني ابن عائلة أصيلة مشهورة بالفضل في بلادنا .." [12].

التحق بهيئة التدريس بالمدرسة الثعالبية في 04 ديسمبر 1896م [13]،حيث عهد إليه بتدريس مختلف العلوم الدينية واللّغوية كالتّفسير والفقه والنّحو، تشير

بعض وثائق التقييم التي تنجزها إدارة المدرسة بشكل مستمر لموظفيها، إلى تميّزه وكفاءته العالية وذلك من خلال شبكة من المؤشّرات المدرجة في التّقييم[14].

وقد ورد في إحدى الوثائق أن ابن سماية " أستاذ ممتاز،بالغ الوعي،ممتلئ حيوية ونشاط،يظهر الاهتمام بالجدة والتّميز،له شغف واضح بالبحث ويستعمل طرائق جديدة في التّدريس، ويبدو صاحب مشروع نهضوي واعد في مجال الدراسات العربية، مما يثير اهتمام وفضول تلاميذه دوما نحو التجديد،منفتح على المفاهيم الغربية، يتميز بعلاقات جيدة مع الجميع مسلمين وأوربيين وهو ليبرالي وصارم تجاه التقاليد البالية "[15].

يعتبر ابن سماية أول من درّس أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني [16]، ومن أوائل من درس رسالة التّوحيد للإمام محمد عبده،والحق أن هذا ينم على نزعته الإصلاحية وتأثره بمنهج محمد عبده .[17] لقد كان بن سماية من العلماء العاملين، حسب شهادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي يقول عنه انّه«عالم عامل غيور على دينه ووطنه مخلص لهما»[18].

ثالثا-صلته بالحركة الإصلاحية والشيخ محمد عبده :

بالرّغم من شدة الطّوق الذي فرضته السلطات الفرنسية على الجزائريين وبالأخص المثقّفين منهم، للحيلولة دون اتصالهم بإخوانهم في المشرق وتواصلهم معهم، بالتّضييق على دخول واقتناء الجرائد العربية، ومنع الحج مرّات عدة، فان ذلك كلّه لم يمنع انتشار الأفكار الإصلاحية ووصول رياح النّهضة والتّغيير، التي أوجدت وسائل شتّى لتبليغها، الأمر الذي ساهم في تبلور الاتجاه الإصلاحي وبروز معالمه بالجزائر.

وعموما فالجزائر لم تكن بمنأى عن الحراك الثقافي وجهود التجديد والنهضة التي شهدها العالم العربي والإسلامي، ولم تكن عقيمة في هذا المجال، فقد برع علماء ومصلحي الجزائر في مجال تجديد الفكر الديني، كالشيخ السنوسي وابن العنابي وحمدان خوجة والأمير عبد القدر وغيرهم ...لكن ظلّت مبادرات أبناءها فردية لم تتح لها فرصة الانتشار والذيوع.

وقد كان ابن سماية عالما بحوادث الشرق، عارفا بخبايا الفكر النّهضوي وإشكالاته، قد عبّرت إحدى الرسائل التي بعث بها إلى صديقه مفتي وهران محمد بن عبد الرحمان عندما استفسره حول اللغط القائم حول أفكار للشيخ محمد عبده الجديدة، فكان مما قاله :" « إلا أنّ الرجل لما كان يتنزّل في كلامه للعقول بما ألفته من الإنكار والأفكار والأنظار في العلوم الجارية، وكثيرا ما يجارى الإفهام بما الفته فتجد الناس في أمرهم بين فرقتين : فرقة ألفت التّعبير بالعبارات القديمة وكادت أن تتخذ عندهم مما يتعبّد بذكره، ولا تحصل البركة والنّفع إلاّ بلفظه، فربما تطرّق إلى أذهانهم انّه زنديق، يحاول بعباراته تدريج النّاس إلى الأخلاق والأفكار الأوربيّة. وفرقة ألفت هذه الأفكار الجديدة والقوانين الحادثة، فهم كلّما سمعوا كلامه اخذ بمجامع قلوبهم وعظم في صدورهم.[19] »

يعد الشيخ عبد الحليم بن سماية من أبناء تلك المدرسة الإصلاحية التي انتهجت منهج الإصلاح الهادئ، القائم على مسالمة الحكومة وعدم الاشتغال بالسياسة، وهو من أهم أتباع ما عرف ب"الحزب العبدوي في الجزائر[20]"، الذي ضم أيضا عددا من الرّواد، كالشيخ محمد بن المصطفى بن الخوجة المدعو ب(المضربة) وعمر بن قدور صاحب الفاروق وعمر راسم وغيرهم، والذين كانوا يتصلون بالمدرسة الإصلاحية بواسطة ما يُنشر في مجلة المنار للشّيخ رشيد رضا،والتي تعتبر لسان تلك الحركة وترجمان أفكارها، "مدد الحياة لنا فإذا انقطعت، انقطعت الحياة عنّا" بحسب تعبيرهم [21].

جاءت زيارة الشّيخ محمد عبده إلى الجزائر في صيف 1903م، وبالرغم أنها جاءت بإيعاز من السلطات الفرنسية، لتحقيق مآربها وتبييض صورتها أمام الجزائريين والأجانب المتربصين،فإنها خطوة إضافية لمحاولة توثيق عرى التّواصل مع الحراك النهضوي والإصلاحي .

كان ابن سماية من ضمن مستقبلي الشيخ محمد عبده وخاصّته خلال تواجده بمدينة الجزائر، وقد لازمه حله وترحاله، وحضر جل حلقاته ودروسه التي كان يلقيها بمساجد العاصمة، ويبدو أن الشيخ محمد عبده ورغم أن الوضع العام

هاله وعبر عن خيبته بانحسار اللسان العربي في الجزائر، فقد أثنى على ابن سماية وأرسل له وهو في ايطاليا برسالة جاء فيها :" « حضرة الأستاذ الفاضل الشّيخ عبد الحليم بن سماية ...لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك، ويعجبني رفيق رقيق من كمالك ونبلك، وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة منّي، ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها، لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل والأدب، ولعرفت انّك ستكون إمام قومك تهديهم إن شاء الله سبل الرشاد، وتبصّرهم بما يوفّر عليهم الحظّين، حظّ المعاش وحظّ المعاد، وهذا هو أملي الذي اسأل الله تحقيقه، فخذ من الوسائل ما يبلّغك بفضل الله غاية ما يرمي إليه استعدادك...»[22]. كما أن ابن سماية مدح شيخه وضيف الجزائر بقصيدة شهيرة، بعث بها إلى مجلة "المنار" جاء منها :

فأنت لنا شمس تنير على المدى ¤ أتى نورها من غير أن نتطلّعـا [23].

رابعا-بعض قضايا الإصلاح عند ابن سماية :

أ/في التصوف:

أدلى الشيخ عبد الحليم بن سماية بدلوه في موضوع التصوّف، وقد خبر الموضوع من خلال صلاته بالمتصوفة كالتيجانية مثلا، غير انه كان يستهجن ما صار اليه بعض المنتسبين للتصوف بغير تقوى ولا علم، فكتب مقالة في كوكب إفريقيا تحت عنوان "الفرق بين الصوفية والمتصوّفة "فيقول :"إلا أن الصوفية سرعان ما حادت عن الجادة وابتعدت عن السبيل القويم، بعزوفها عن طلب الكسب وغلوّها في تقويّة الجانب الرّوحي، ويرى أنّ "الحابل اختلط بالنّابل وذو الأغراض الفاسدة بالمقاصد الصالحة، وانعدام الوازع وتشبّه المبطل بالمحق، فنجد الكثير من السّفاسفة يتشبهون بالفضلاء ليحققوا أغراضهم تحت التظاهر بلباس الشرف وأرباب الجور يتظاهرون بلباس الزهد والعفاف ليصلوا الى مطامعهم "[29].فهو يفرق بين المتصوّفين الصادقين عن غيرهم من الدخلاء، الرّاغبين في المال والنفوذ أكثر من التقرّب الى الله .في وقت صارت مهنة ينتحلها بعض السماسرة ليبتزوا الناس في اموالهم، في ظل الجهل المطبق الذي كانت عليه العامة، كما ندّد بما ينسب الى الصوفية من الكرامات وخوارق العادات، ويرى أن "الأصل عند المتصوفين هو أن التشوق الى مثل هذه الأمور والتطلع إليها، وعد الالتفات إليها من القواطع والشواغل عن الله تعالى وعن الإخلاص وكونها إنما هي من الرعونات النفسانية "[30].

ب/ قضايا التربية والتعليم:

يعتبر ميدان التربية والتعليم أكثر الميادين التي خاض فيها الشيخ عبد الحليم بن سماية، وذلك انطلاقا من ثقافته وطبيعة تكوينه، وتشخيصه لعلل مجتمعه، فهو يرى أن الجهل سبب كل الشرور، وان ما آل إليه الجزائريون من ضعف وتخلف إنما يعود إلى قلة وعيهم بأهمية العلم والمعرفة وضعف إدراك دورهما في نهضتهم، فيقول :"لو انفق الناس على جلب أزهار العلم لوجدوا إليها سبيلا،فيأمرون أولادهم بمخالطة أهل العلم ."[31]

ويقول ايضا :"العلم نافع مطلقا، لان المعلوم إذا كان نافعا فيطلب ويعمل به، وإذا كان ضارا فيهجر ويفر منه ...متى مال العقل الى ما فيه منفعة، من جلب نفع أو دفع ضر إلا وسار في طريق السعادة والإصلاح، ومتى مال الى جلب ضر أو دفع منفعة إلا جلب الشقاء ".[32]

ويرى بن سماية إن" استقامة أحوال الناس مرتبط بالعلم، فكلما كان مصباحه منيرا على دربهم كان كل واحد منهم عالما بماله وما عليه سالكا سبيل الهدى، ملتزما أخلاقيا، وكلما انطفأ مصباح العلم كان كمن يمشي في ظلمة بين الناس فلا يخلو من ان يصطدم حائطا. وهذا مرتبط بعقول الناس ومدى وعيهم لحقيقة واقعهم، لان من الناس من يميل الى الحضيض وليس له وعي " كما يقول "إن العقل بين قوتين جاذبتين إحداهما تجذبه الى العلو، والأخرى تجذبه الى السفل .ومتى غلبت إحداهما عليه استخدمته على قانونها "[33]والسّفل هنا مقصود بها الخلود الى الشهوات ومجاراة أهواء النفس وأغراضها الدنيئة في الغالب، فإذا ما تغلبت واستحكم سلطانها هوى الى الأرذل، وشلت قدراته الذهنية والجسمية.

ويقول في معرض حثه على التحصيل لأبناء جلدته "ألاَ وانّ العقول لا تستنير ولا تكتمل إلاّ بالعلم، إلا وانّ العلم لا يحصل إلا بالتّعلم، ثم التّعلم في الصّغر كالنّقش على الحجر ...فعلى كل عاقل ان يثقف عقول أولاده بالتعليم، وان لا يتكل على إرسالهم الى من يعلمهم فقط بل يجعل لهم هو بنفسه حصة في الزمان الذي يمكنه ان يحادثهم فيها محادثة العاقل للعاقل. "[34]

لاشك أنّ الفترة التي عاصرها الشّيخ بن سماية كانت حافلة بالأحداث الكبرى في الجزائر وخارجها، أثرت في الشيخ بن سماية كما أثرت في بني جيله، وصنعت مواقفه من مجمل قضايا عصره، فازدياد الهيمنة الاستعمارية وسطوة الحضارة الغربية في جميع مناحي الحياة اليومية حوله، كان لها بالغ الأثر في عملية البحث عن الذّات واستشارة التّراث، والاحتكاك بأساطين الحركة الإصلاحية وانتاجاتهم، والنّسج على منوالهم في سبيل انجاز النّهضة المنشودة، ولئن لم يكتب لتلك الحركة الإصلاحية التي رافقها وهو ورفاقه من أن تؤتي ثمارها في حينها، فقد كانت لبنة هامّة في صرح الحركة الإصلاحية التي ستتولى جمعية العلماء رعايتها لاحقا بقيادة رائد الإصلاح والنهضة الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفاقه.

يقول الأستاذ محمد على دبّوز « كان بن سماية واسع الأفق، يقرأ الجرائد العربيّة الكبرى والفرنسيّة، الواردة من كل الأقطار العربيّة، ويعرف أحداث العالم، ويهتم كل الاهتمام بالعالم الإسلامي كله، ويتمنّى له النهوض والتحرّر من الجهل ورقة الدين والاستعمار، كان واسع الوطنيّة، لا يدين بالقوميات الضّيّقة يرى العالم الإسلامي كلّه وطنه والمسلمون كلّهم قومه، طريقه في الإصلاح هو طريق الشّيخ محمد عبده إصلاح النفوس بالدّين الصّحيح، والقضاء على البدع وتحسين طرق التّعليم بالعربيّة، وإنشاء شباب مسلم عربي ممتلئ بدينه، يفهم القرآن ويجعله دستوره[40].

المحاضرة الرابعة: من أعلام الدعوة : الشيخ عبد الحميد بن باديس.

من إعداد قروف الهاشمي- جمع وتقديم: د. السعيد ميعي محمد

نسبه وأسرته

هو الإمام **عبد الحميد بن باديس** (1307-1358هجرية) الموافقة لـ (1889-1940) من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

عرفت الأسرة الباديسية منذ القدم بإنجابها للعلماء والأمراء والسلاطين، ويكفي أن نشير إلى أنهم ينتمون إلى ما يقول مؤلفا كتاب أعيان المغاربة المستشرقان Edmond Gouvion Marthe et والمنشور بمطبعة فوناتانا في الجزائر 1920م، بأن ابن باديس ينتمي إلى بيت عريق في العلم والسؤدد. ينتهي نسبه في سلسلة متصلة إلى بني باديس الذين جدّهم الأول هو مناد بن مكنس الذي ظهرت علامات شرفه وسيطرته في وسط قبيلته في حدود القرن الرابع الهجري، وأصل هذه القبيلة كما يقول المستشرقان من ملكانة أو تلكانة وهي فرع من أمجاد القبيلة الصنهاجية "البربرية" المشهورة في المغرب العربي. ومن رجالات هذه الأسرة المشهورين في التاريخ الذين كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يفتخر بهم:

- المعز لدين الله بن باديس (حكم: 406-454هـ/1016-1062م) الذي قاوم البدعة ونصر السنة وأعلن مذهب أهل السنة والجماعة مذهبًا للدولة، ثم مؤسس الدولة الصنهاجية وابن الأمير باديس بن منصور والى إفريقيا والمغرب الأوسط (حكم: 373-386 هـ/984-996م) سليل الأمير "بلكين بن زيري بن مناد المكنى بأبي الفتوح والملقب بسيف العزيز بالله الذي تولى الإمارة (361-373 هـ/971-984م) إبان حكم الفاطمين.

في العهد العثماني برزت عدة شخصيات من بينها:

- قاضي قسنطينة الشهير أبو العباس احميدة بن باديس (توفى سنة 969 هـ/1561م) الذي قال عنه شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون : "هو من بيوتات قسنطينة وأشرافها وممن وصلت إليه الرياسة والقضاء والإمامة بجامع قصبتها، وخَلَفُ سلف صالحين علماء حازوا قصب السبق في الدراية والمعرفة والولاية، وناهيك بهم من دار صلاح وعلم وعمل".

- أبو زكرياء يحيى بن باديس ابن الفقيه القاضي أبي العباس "كان حييا ذا خلق حسن، كثير التواضع، سالم الصدر من نفاق أهل عصره، كثير القراءة لدلائل الخيرات وذا تلاوة لكتاب الله".

- الشيخ المفتي بركات بن باديس دفين مسجد سيدي قمّوش بقسنطينة في الفترة نفسها.
- أبو عبد الله محمد بن باديس الذي قال عنه الشيخ الفكون: "كان يقرأ معنا على الشيخ التواتي (محمد التواتي أصله من المغرب، كانت شهرته بقسنطينة، وبها انتشر علمه. كانت له بالنحو دراية ومعرفة حتى لقب بسيبويه زمانه، وله معرفة تامة بعلم القراءات) آخر أمره، وبعد ارتحاله استقل بالقراءة عليّا وهو من موثقي البلدة وممن يشار إليه".

- الشيخ أحمد بن باديس الذي كان إماما بقسنطينة أيام الشيخ عبد الكريم الفكون خلال القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي.

من أسلاف عبد الحميد المتأخرين، جدّه لأبيه: الشيخ المكي بن باديس الذي كان قاضيا مشهورا بمدينة قسنطينة وعضوا في المجلس العام وفي المجلس البلدي، وقد احتل مقاما محترما لدى السكان بعد المساعدات المالية التي قدمها لهم خاصة أثناء المجاعة التي حلت بالبلاد فيما بين 1862 – 1868م وانتخب إلى الاستشارة في الجزائر العاصمة وباريس، وقد تقلد وساما من يد نابليون الثالث (كان رئيسا لفرنسا من 1848-1852م ثم إمبراطورا لها من 1852-1870م)، وعمه احميدة بن باديس النائب الشهير عن مدينة قسنطينة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي الذي اشترك مع ثلاثة من زملائه النواب في عام 1891م في كتابة عارضة دوّن فيها أنواع المظالم والاضطهادات التي أصبح يعانيها الشعب الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي من الإدارة الاستعمارية ومن المستوطنين الأوروبيين الذين استحوذوا على الأراضي الخصبة سلبا من الجزائريين وتركوهم للفقر والجوع، وقاموا بتقديمها إلى أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي الذي حضر إلى الجزائر من أجل البحث وتقصي الأحوال فيها كي يقدمها بدوره إلى الحكومة الفرنسية وأعضاء البرلمان الفرنسي في باريس وذلك بتاريخ 10 أبريل سنة 1891 أي بعد ولادة عبد الحميد بن باديس بحوالي ثلاثة سنوات فقط.

مولد و نشاة ابن باديس

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحّول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن بركات بن عبد الرحمن بن باديس الصنهاجي. ولد بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1307 هـ الموافق لـ5 ديسمبر 1889م على الساعة الرابعة بعد الظهر، وسجل يوم الخميس 12 ربيع الثاني 1307هـ الموافق لـ 6 ديسمبر 1889م في سجلات الحالة المدنية.

كان عبد الحميد الابن الأكبر لوالديه،فأمه هي: السيدة زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول من أسرة مشهور بقسنطينة لمدة أربعة قرون على الأقل، وعائلة "ابن جلّول من قبيلة "بني معاف" المشهورة في جبال الأوراس، انتقل أحد أفرادها إلى قسنطينة في عهد الأتراك العثمانيين و هناك تزوج أميرة تركية هي جدة الأسرة (ابن جلول). ولنسب هذه الإمرأة العريق، تزوجها محمد بن مصطفى بن باديس (متوفى 1951) والد عبد الحميد. وكان والده مندوبا ماليا وعضوا في المجلس الأعلى وباش آغا لشرفي الجزائر، ومستشارا بلديا بمدينة قسنطينة ووشحت فرنسا صدره بوسام الشرف قالب:فرنسي، وقد احتل مكانة مرموقة بين جماعة الأشراف وكان من ذوي الفضل والخلق الحميد ومن حفظة القرآن، ويعود إليه الفضل في إنقاذ سكان منطقة واد الزناتي من الإبادة الجماعية سنة 1945 على إثر حوادث 8 ماي المشهورة، وقد اشتغل بالإضافة إلى ذلك بالفلاحة والتجارة، وأثرى فيهما.

كان والده بارًا به يحبه ويتوسم فيه النباهة، فقد سهر على تربيته وتوجيهه التوجيه الذي يتلاءم مع فطرته ومع تطلعات عائلته. عبد الحميد بن باديس نفسه يعترف بفضل والده عليه منذ أن بصر النور وفقد قال ذلك في حفل ختم تفسير القرآن سنة 1938 م، أمام حشد كبير من المدعوين ثم نشره في مجلة الشهاب: (إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي ربّاني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشرباً أرده، وبراني كالسهم وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً، وكفاني كلف الحياة... فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر).

أما إخوته الستة فهم: الزبير المدعو المولود والعربي وسليم وعبد الملك ومحمود وعبد الحق، وأما أختاه فهما نفيسة والبتول، كان أخوه الزبير محاميا وناشرا صحفيا في الصحيفة الناطقة بالفرنسية "صدى الأهالي" L'Echo Indigène ما بين 1933م – 1934م. كما تتلمذ الأستاذ عبد الحق على يد أخيه الشيخ عبد الحميد بالجامع الأخضر وحصل على الشهادة الأهلية في شهر جوان سنة 1940م على يد الشيخ مبارك الميلي بعد وفاة الشيخ بن باديس بحوالي شهرين.

طلبه للعلم

ختم عبد الحميد بن باديس حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم تتلمذ على الشيخ حمدان الونيسي، وهو من أوائل الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في اتجاهه الديني، ولا ينسى ابن باديس أبداً وصية هذا الشيخ له: "اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة"، بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا.

في عام 1908 م رأى والد ابن باديس أن يرسله إلى تونس- وهو الشاب المتعطش للعلم- ليبدأ الرحلة العلمية الأولى هناك ، فى رحاب جامع الزيتونة الذي كان مقراً كبيراً للعلم والعلماء يُشبه في ذلك الأزهر في مصر. وفي الزيتونة تفتحت آفاقه، وعبّ من العلم عبًا، والتقى بالعلماء الذين كان لهم تأثير كبير في شخصيته وتوجهاته، مثل الشيخ محمد النخلي القيرواني الذي غرس في عقل ابن باديس غرسة الإصلاح وعدم تقليد الشيوخ، وأبان له عن المنهج الصحيح في فهم القرآن. كما أثار فيه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حب العربية وتذوّق جمالها ، ويرجع الفضل للشيخ البشير صفر في الاهتمام بالتاريخ ومشكلات المسلمين المعاصرة وكيفية التخلص من الاستعمار الغربي وآثاره

في المدينة المنورة

بعد أداء فريضة الحج مكث الشيخ ابن باديس في المدينة المنورة ثلاثة أشهر، ألقى خلالها دروساً في المسجد النبوي، والتقى بشيخه السابق حمدان الونيسي وتعرف على رفيق دربه ونضاله فيما بعد الشيخ البشير الإبراهيمي. وكان هذا التعارف من أنعم اللقاءات وأبركها، فقد تحادثا طويلاً عن طرق الإصلاح في الجزائر واتفقا على خطة واضحة في ذلك. وفي المدينة اقترح عليه شيخه الونيسي الإقامة والهجرة الدائمة، ولكن الشيخ حسين أحمد الهندي المقيم في المدينة أشار عليه بالرجوع للجزائر لحاجتها إليه. زار ابن باديس بعد مغادرته الحجاز بلاد الشام ومصر واجتمع برجال العلم والأدب وأعلام الدعوة الإصلاحية، وزار الأزهر واتصل بالشيخ بخيت المطيعي – شيخ الأزهر حينئذ - حاملاً له رسالة من الشيخ الونيسي وكان ذلك بمثابة إجازة له.

العودة إلى الجزائر

عاد ابن باديس إلى الجزائر عام 1913 م واستقر في مدينة قسنطينة، وشرع في العمل التربوي الذي صمم عليه، فبدأ بدروس للصغار ثم للكبار، وكان المسجد هو المركز الرئيسي لنشاطه، ثم تبلورت لديه فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين، واهتماماته كثيرة لا يكتفي أو يقنع بوجهة واحدة، فاتجه إلى الصحافة، وأصدر جريدة المنتقد عام 1925 م وأغلقت بعد العدد الثامن عشر؛ فأصدر جريدة الشهاب الأسبوعية، التي بث فيها آراءه في الإصلاح، واستمرت كجريدة حتى عام 1929 م ثم تحولت إلى مجلة شهرية علمية، وكان شعارها: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

المحاضرة الخامسة: مؤسسات الدعوة في الجزائر

من إعداد: الطاهر لدغم: جمع وتقديم السعيد مسعي محمد

مفهوم المؤسسة:

تعريف المؤسسة ليس بالأمر اليسير، فهذا المصطلح، على غرار مصطلحات أخرى، يمكن النظر إليه من زوايا متعددة، وهكذا تتعدد المفاهيم والتعريفات.

ومع ذلك يمكن الحديث عن المؤسسة بأنها: لفظ يطلق على كل نظام سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي قائم في مكان ما بكل ايجابياته وسلبياته.

والمؤسسة تدل من جهة على عمل، حيث إن فعل أسس يأتي بمعنى إيجاد الشيء.. ومن جهة ثانية تدل على نتيجة هذا العمل، بحيث تقدم المؤسسة معطًى اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا متميزا بما يقدمه من خدمات أو يحدثه من تأثير وتغيير.

وللتعريف برسالة ومهام وأهداف أيّ مؤسسة ننسبها إلى الشيء الذي تأسست عليه أو من أجله، فنقول: مؤسسة سياسية، مؤسسة اجتماعية، مؤسسة إدارية، مؤسسة دينية، مؤسسة ثقافية، مؤسسة اجتماعية، مؤسسة اقتصادية..

وتتعدد تعريفات الاقتصاديين للمؤسسة، ومنها:

– "المؤسسة هي كل وحدة قانونية، سواء كانت شخصا ماديا أو شخصا معنويا، تتمتع باستقلال مالي في صنع القرار، وتنتج سلعا وخدمات تجارية".

– "المؤسسة تنطبق على جميع أشكال المنظمات الاقتصادية المستقلة ماليا، وتكون المؤسسة مقسّمة إداريا بكيفية تُوزّع فيها المهام والمسؤوليات، وتتخصص في إنتاج السّلع والخدمات التي يتم بيعها في الأسواق بغرض تحقيق أرباح من وراء ذلك".

كما تطلق الدعوة أحيانا على الإسلام نفسه، ومن ذلك قول الله تعالى: (له دعوة الحق).. لكنها إذا أُطلقت انصرفت إلى المعنى الشائع وهو الدعوة إلى الإسلام الذي ورد في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعي..).

تعريفات:

- الدعوة هي: "حثّ الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل".. الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: الدعوة إلى الإصلاح.
- الدعوة هي: "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين".. الشيخ محمد الغزالي في كتابه (مع الله).
- الدعوة هي: "تبليغُ الإسلام للناس، وتعليمُه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة".. محمد أبو الفتح البيانوني في كتابه: المدخل إلى علم الدعوة.

الزوايا في الجزائر

لم تكن القوات الفرنسية التي غزت الجزائر عام 1830 هي عنصر القوة الوحيد الذي راهنت عليه الإدارة الاستعمارية في حربها ضد الشعب الجزائري ومؤسساته الدينية والاجتماعية؛ فقد رافق الجحافل العسكرية حملات غزو فكري وثقافي ومحاولات للقضاء على ارتباط الإنسان الجزائري بدينه وتمسكه به حتى يتحول إلى كائن بلا هوية يسهل قياده وتوجيهه إلى حيث يخدم مصالح الاستعمار.

وقد كانت الحملة الفرنسية لمحو الشخصية الوطنية الإسلامية شرسة للغاية لكن طلائع الشعب الجزائري المتعلمة والواعية صمدت في وجه المخططات الاستعمارية وأحبطتها وحافظت على الإسلام في قلوب الناس وحياتهم وثقافتهم.

وفي هذا السياق قامت الزوايا الجزائرية بدور مهم في الحفاظ على العربية وتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وهكذا ساهمت الزوايا في الحفاظ على التعليم الديني في كثير من المناطق الجزائرية، والمقصود هناك تلك الزوايا التي حافظت على طابعها العلمي وظلت مراكز للإشعاع ومنابع للهداية وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة وتحميها من جميع أشكال الدمار، في الوقت الذي استطاعت فيه السلطات الاستعمارية تدجين عدد آخر من الزوايا والطرق الصوفية وتوظيفها بشكل كلّي أو جزئي لخدمة الأهداف الاستيطانية وصرف الشعب الجزائري عن أي شكل من أشكال الصمود والمقاومة.

ويُطلق لفظ الزاوية على موضع أُعِد للعبادة ولتعليم القرآن الكريم، ويشتمل على مرافق لإيواء الطلبة وعابري السبيل، وقد ظهرت هذه المؤسسات الدينية والاجتماعية بالمغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري، وهناك من يعود بها إلى القرن السادس الهجري، وقد حلّت تدريجيا محلّ الأربطة (ج رباط)، وظلت لمدة من الزمن تجمع بين العبادة والتعليم والدعوة والجهاد.. وقد أسسها علماء ومصلحون لأداء رسالة دينية واجتماعية وحضارية.

وقد نمت هذه الزوايا وانتشرت بكثرة في القرن الثامن عشر الهجري، الخامس عشر ميلادي، كرد فعل لحادثين كبيرين في حياة المسلمين في الجزائر وهما: ضياع الأندلس والغزو الصليبي المتمثل في احتلال اسبانيا لثغور الجزائر لا سيما المدن الساحلية.

واللافت للانتباه أن هذه الزوايا واسعة الانتشار، فهي في المدن والقرى والأرياف على قمم الجبال وفي أعماق الصحراء وعلى السواحل في الرباطات والمنارات حيث لجأ إليها وأقام فيها أناس نذروا أنفسهم لعبادة الله كانوا فيها فرسانا بالنهار رهبانا بالليل حريصين على أن يكونوا المعنيين بالحديث الشريف: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله".

وفي عهد الاستعمار الفرنسي زاد عدد الزوايا في الجزائر سواء تلك التي حملت رسالة العلم والدعوة أو تلك التي تواطأت مع المستعمر بشكل أو بآخر.

ولأن الزوايا اشتهرت في الغالب بالابتعاد عن السياسة ودوائر الحكم فقد استغلها بعض العلماء والمصلحين لتحفيظ القرآن ونشر العلم بعيدا عن تدخل السلطات الاستعمارية، وهكذا أدت أدوارا معتبرة في الحفاظ على التقاليد العلمية من خلال حفظ القرآن وتدريس العلوم في كثير من الربوع الجزائرية.

لقد كانت رسالة الزوايا العلمية الدعوية من البداية سامية وتهدف إلى الحفاظ على المقومات الدينية للشخصية الجزائرية، وانطلقت البرامج العلمية دائما من تحفيظ القرآن الكريم امتثالا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، ثم كانت اللغة العربية على رأس اهتمامات الزوايا لأنها وعاء الوحي وحافظة التراث الإسلامي.

وقد وقفت الزوايا العلمية أمام حملات التنصير من خلال نشر تعاليم الدين الإسلامي والدفاع عنه ورد الشبهات التي ينشرها أعضاء الإرساليات التبشيرية وأعوان الاستعمار من الفرانكفونيين الجزائريين الذين تشرّبوا الثقافة الفرنسية وارتبطت مصالحهم وحياتهم بها.

وإلى جانب ذلك كان للزوايا دورها الاجتماعي في الإصلاح بين الناس وفض النزاعات وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وعندما كانت الظروف مواتية انطلقت كتائب الجهاد في سبيل الله من الزوايا وواجهت قوات الاستعمار في معارك كبيرة وشهيرة عرفتها معظم مناطق الجزائر، ولا أدل على ذلك من أعلام المقاومة والدعوة الذين عرفتهم البلاد في القرن التاسع عشر وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الجزائري، والحاج محمد المقراني، والشيخ بوعمامة والشيخ الحداد وغيرهم.. إضافة إلى مشاركة أبناء الزوايا في الثورة التحريرية الكبرى.

خرّجت الزوايا عددا كبيرا من العلماء كان لهم دورهم في الحفاظ على الإسلام ودعوته بين الجزائريين وكانت لهم بصمات واضحة في الفكر والإصلاح والقضاء والإفتاء، ومن هؤلا: الشيخ نصر الدين المشدالي، الشيخ أبو موسى عمران، الشيخ رزقي الشرفاوي الأزهري، الشيخ المولود الحافظي الأزهري، الشيخ البوجليلي، الشيخ أبو الفضل المشدالي، الشيخ محمد الصالح الرحموني المشدالي.

ولأن موضوع الزوايا بشكل عام صار مثار جدل بين أكثر من فريق ولأكثر من سبب، فينبغي على طلاب العمل والباحثين التوجه إليه بروح علمية بحثية بعيدة عن كل تعصب لهذا الطرف أو ذاك، ومما يمكن القيام به في هذا الشأن:

. إعادة الاعتبار لتاريخنا وإبرازه بشكل علمي أكاديمي خال من كل نزعات الهوى والتعصب، والعمل الجاد في سبيل فرز تراث الزوايا وتمييز العلمي الأصيل من الدخيل.

. تصحيح بعض المواقف وإعادة النظر في الكثير من الأحكام المسبقة، والاحتكام إلى ما تصل إليه نتائج الأبحاث والدراسات العلمية المحايدة.

. العمل على استغلال إيجابيات الزوايا وتطويرها، والابتعاد عن السلبيات والبدع والخرافات التي شوهت تاريخ بعض الزوايا.

. البحث عن آليات للاستفادة من الفكر التربوي والعلمي السليم لتراث الزوايا.

أقدم الزوايا في الجزائر:

1 . رباط بونه: وهو المعروف برباط مروان البوني، أسسه أبو عبد الملك، الأندلسي الأصل، سكن بونة (عنابة)، وكان من الفقهاء البارزين. مات قبل الأربعين وأربعمائة (440هـ= 1048م)، بعنابة ودفن بها وقبره من أشهر المزارات بالشرق الجزائري.

2 . زاوية عبد السلام التونسي في تلمسان: أسسها الشيخ أبو محمد عبد السلام التونسي، من صوفية المغرب العربي، وكانت وفاته بتلمسان عام 589هـ= 1193م.

3 . زاوية أبي زكريا الزواوي: أسسها الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو زكريا يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي (ت 611هـ)، خارج مدينة بجاية، باب البحر، بعد عودته من المشرق، وجلس بها لنشر العلم وبثه والدعوة إلى الله، فانتفع الخلق على يديه، وكان يدرس بها أيضا علوم الحديث وعلوم الفقه والتصوف، كما تولى التدريس بها الشيخ الولي الصالح أبو مدين الغوث.

4 . زاوية ابن يبكى البجائي: عبد الكريم بن عبد الملك القلعي البجائي (توفي بداية القرن السابع الهجري)، من أهل قلعة بني حماد، وهو الموقف لأوقافها الكثيرة المعروفة.

5 . زاوية ملارة بقسنطينة: أسسها الشيخ يعقوب بن عمران البويوسفي توفي (630/ 717هـ) تقع على بعد مرحلتين إلى الغرب من قسنطينة. نشرت التصوف بمنطقة قسنطينة.

6 . زاوية الشيخ أبي حجلة بتلمسان: أسسها الشيخ أبو حجلة التلمساني، كان معروفا بالصلاح والتقوى والزهد والتصوف، جاء ذكرها عند ابن حجر في ترجمته لابن أبي حجلة: "ولد بزاوية جده بتلمسان سنة خمس وعشرين وسبعمائة (725هـ)".

7 . زاوية سيدي الحلوي بتلمسان: (ق 8هـ) من أشهر مزارات مدينة تلمسان، تقع خارج سور المدينة من ناحية الشمال، شيدها سنة 754هـ السلطان المريني أبي عنان، على ضريح الولي الصالح الشيخ سيدي الحلوي، اندثرت ولم يبق منها إلا المسجد الجامع.

8 . زاوية الحسن بن أبي القاسم بن باديس: (ت 787هـ) أسسها الشيخ حسن بن أبي القاسم بن باديس . وأسرة ابن باديس من أكبر الأسر العلمية والدينية بقسنطينة . الذي كان من مشايخ الطريقة القادرية التي أخذها عن شيخه صلاح الدين العلائي ببيت المقدس. عرفت شهرة كبيرة، توفي الشيخ بن باديس سنة 787هـ ودفن بزاويته.

II مؤسسة المسجد

المَسجد بيت الله يؤدِّي فيه المسلمون صلواتهم اليومية المفروضة عليهم، والمسجد عبر التاريخ الإسلامي لم يكن مكانًا للعبادة فحسب بل كان مركزًا للعلم والثقافة تُعقد فيه حلقات الدرس ويتخرج فيه طلاب العلم.

وكل موضع يُتعبّد فيه فهو مسجد، وقد جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (جُعلَت لي الأرضُ مَسْجدًا وطهورًا) أخرجه أحمد. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أظلم ممَّنْ منعَ مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُه وسعى في خَرابها﴾ سورة البقرة آية 114 . وقال تعالى: ﴿إنّما يَعمر مَساجدَ الله من آمَنَ بالله واليوم الآخر وأقَامَ الصلاةَ وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله فَعَسىَ أولئك أنْ يكونوا منَ المُهْتَدين﴾ التوبة آية 18.

أما الجامع فهو نعت للمسجد، وقد نُعت بذلك لأنه علامة الاجتماع، وما كانوا في الصدر الأول من تاريخ الإسلام يُفردون كلمة الجامع وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة المسجد، وتارة يصفونها فيقولون المسجد الجامع، ومرة يضيفونها إلى الصفة فيقولون مسجد الجامع، ثم تجوّز الناسُ بعد ذلك واقتصروا على الصفة فقالوا للمسجد الكبير الذي تُصَلَّى فيه الجمعة وإن كان صغيرًا الجامع، لأنه يجمع الناس لوقت معلوم.

وقد حثّ الإسلام على بناء المساجد والعناية بها، ومن ذلك ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بنى مسجدًا يُذْكَرُ فيه اسم الله بنى الله له بيتًا في الجنة) أخرجه أحمد وابن ماجة. وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه أن (أحب البلادِ إلى الله مساجدها) أخرجه مسلم.

وبناء المسجد أمر من الله سبحانه وتعالى لجميع المسلمين، وحدّد القرآن الكريم الوظيفة الأساسية للمسجد، قال تعالى: ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرْفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمه يُسبِّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾ سورة النور آية 36.

أول مسجد بُني في الإسلام هو مسجد قُبَاء الذي يُقال له مسجد التقوى لقوله تعالى: ﴿لَمسْجِد أسسَ على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهرين﴾ سورة التوبة آية 108. وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن المسجد الذي أُسس على التقوى فقال: (هو مسجدكم هذا)، أي مسجد المدينة.. رواه مسلم والنسائي بسند صحيح. وهذا لا يعارض الأول، إذ كلٌ منهما أُسّس على التقوى، غير أن قوله تعالى (من أول يوم) يرجّح أن يكون مسجد قباء، لأن تأسيسه كان يوم حلول الرسول صلى الله عليه وسلم دار هجرته، المدينة المنورة.

ولما فُتحت البلدان كتب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدًا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى المسجد الجامع، وكتب كذلك إلى سعد بن أبي وقاص وهو والٍ على الكوفة بمثل ذلك، وكتب أيضًا إلى عمرو بن العاص وهو والٍ على مصر بمثل ذلك أيضًا.. فكان الناس متمسكين بأمر

عمر رضي الله عنه، وكانت صلاة الجمعة تُؤدَّى في المسجد الجامع. وأصبح المسجد منذ ذلك الوقت مركز ترابط المجتمع والجماعة الإسلامية، وهيكلها المادي الملموس. فلا تكتمل الجماعة إلا بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض، يتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأي، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم، ويلتقون فيه مع رؤسائهم، أو يتجهون إليه لمجرد الاستمتاع بالقعود في ركن من أركانه ولهذا كله، أصبح للمسجد ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية لكل مسلم على حدة ولجماعة المسلمين جملةً.

دور المساجد في خدمة المجتمع:

المسجد بيت الله وهو أيضًا بيت الجماعة وبيت كل واحد منها على حدة، وهو المكان الوحيد الذي كان وما زال تملكه الجماعة مشتركة، وإن كان الذي بناه السلطان أو الخليفة أو الدولة. وعلى ذلك، لم يكن المسجد في يوم من الأيام ملكية خاصة لأفراد أو لفئة دون فئة. وأوضح مثل على ذلك الدور الذي كان يؤديه المسجد في خدمة المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام، حيث كانت مساجد المسلمين دورًا للقضاء تُعقد فيها مجالس القضاء علنًا بين أفراد الجماعة، وتُعلن أحكام القضاة في داخل المسجد ويُترك للدولة موضوع تنفيذ الأحكام عن طريق أعوان يقفون خارج المسجد تحت تصرف القاضي. كما استُخدمت المساجد معاهد للتعليم، لأن العلم كان دائمًا من اختصاص الجماعة، وعلى ذلك فلم تقتصر المساجد على وظيفة الصلاة بل كانت مراكز للحكم والإدارة والدعوة والتشاور، كما كانت محلاً للقضاء والإفتاء والعلم والإعلان وغير ذلك من أمور الدين والدولة.

وكان يقال إن الشعر ديوان العرب، وهي حقيقة تؤيدها الأدلة، بينما الحقيقة أيضًا أن المساجد ديوان أمم الإسلام. فقد كان جامع عمرو بن العاص في مصر سجلاً لتاريخ العصور الإسلامية في مصر، وكذلك كان المسجد الجامع في القيروان بمثابة فصول كاملة من تاريخ إفريقيا والمغرب عامة. وأكبر دليل على ذلك هو المسجد الجامع في قرطبة؛ إذ إن عمارته تؤرخ لأمراء البيت الأموي الأندلسي واحدًا واحدًا، فما منهم أمير أو خليفة إلا وحرص على أن يضيف إليه ويتشرف بتسجيل اسمه على جدرانه، وينطبق هذا الحديث على الجامع الأزهر بمصر.

أما المسجد الحرام والمسجد النبوي فهما يؤرخان لدولة الإسلام وحضارتها وما زالت عمارتهما عبر الأجيال تؤكد ذلك. والأمر كذلك بالنسبة للمسجد الأقصى وقبّة الصخرة.

والخلاصة أن أول ما كان يُعنى به المسلمون في كل فتح من فتوحاتهم أن يقيموا مسجدًا جامعًا للصلاة، يحرصون على أن يكون موقع المسجد في وسط المدينة الجديدة، ومجاورًا في نفس الوقت لدار الإمارة أو بيت الخليفة أسوة بما كان في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.

المساجد في الجزائر:

يتجاوز عدد المساجد في الجزائر الخمسة عشر ألف مسجد (15000)، وهي في تزايد مستمر وسريع.

- ومن أكبر وأشهر المساجد في الجزائر مسجد الأمير عبد القادر بمدينة قسنطينة، وهو من أكبر مساجد الجزائر حيث يتسع لخمسة عشر ألف مصلي، بالإضافة إلى ساحات واسعة يمكن أن تضم آلاف أخرى من المصلين، ويقع المسجد في قلب مدينة قسنطينة، العاصمة الثقافية للجزائر، وعاصمة منطقة الشرق، وفي محيط المسجد تقع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية حيث درّس فيها علماء أجلاء من داخل الجزائر وخارجها، بينهم الشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رحمهما الله.
- ومن المساجد الكبيرة في الجزائر، مسجد أول نوفمبر بمدينة باتنة.
- ومن المساجد التاريخية مسجد كتشاوة بوسط العاصمة، وقد بني في العهد العثماني (1021هـ / 1792م)، وقد حوّله الاستعمار الفرنسي إلى كنيسة بعد أن هدمته القوات الغازية على رؤوس أكثر من أربعة آلاف مسلم اعتصموا فيه، وحوله، للدفاع عنه، وبعد الاستقلال أعاده الجزائريون من جديد مسجدا وخطب أول جمعة فيه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.
- ومن المساجد المعروفة في الجزائر، الجامع الكبير بالعاصمة، المسجد العتيق بمدينة وهران، مسجد سيدي بومدين بمدينة تلمسان، مسجد سيدي عقبة بمدينة سيدي عقبة ولاية بسكرة، ومساجد أخرى في جميع جهات الوطن.

وقد انطلقت الأشغال في بناء مسجد الجزائر، الذي سيكون أكبر مسجد في العالم بعد الحرمين الشريفين، ويتسع لمائة وعشرين ألف مصلي، وحوله مرافق كثيرة ومتعددة تؤهله لأن يكون مركزا علميا ودعويا بارزا إذا خلصت النوايا وتظافرت الجهود لخدمة الدعوة الإسلامية في الجزائر.

بناء المساجد و صيانتها في الجزائر:

يقوم ببناء المساجد كل من: الدولة – الجمعيات الدينية – الأشخاص.

ويدمج المسجد وما يلحق به من مرافق بمجرد الانتهاء من بنائه في الأملاك الوقفية العامة ويفتح بقرار من وزير الشؤون الدينية والأوقاف، ويتضمن القرار ما يلي: اسم المسجد، بطاقة المسجد التقنية، تصنيف المسجد.

وتصنف المساجد في الجزائر رسميا إلى ثلاثة أنواع : – المساجد الأثرية – المساجد الوطنية – المساجد المحلية.

يتكفل بصيانة المساجد والمدارس القرآنية، وكل المرافق التابعة لهما، بالترميم والتنظيف و لحراسة والتجهيز ونفقات استهلاك الماء والكهرباء والغاز كل من:

1 – الدولة بالنسبة إلى المساجد ذات الطابع الأثري.

2– الولاية بالنسبة إلى المساجد ذات الطابع الوطني.

3– البلدية بالنسبة إلى المساجد المحلية.

مصادر تمويل بناء المساجد:

إن بناء المساجد في الجزائر متروك إلى الإرادة الخيّرة في الأمة، حيث إن بناءها في غالب الأحيان يكون من طرف تبرع المواطنين والمحسنين وفق القوانين المعمول بها في هذا المجال، كما تساهم الدولة من خلال تقديم إعانات لفائدة تشييد بيوت الله.

الخطاب المسجدي:

يرتكز الخطاب المسجدي على إستراتيجية تم تحديدها وضبطها من طرف الوزارة المعنية مراعاة للمرجعية الدينية والتاريخية للأمة، وباعتبار أن العبادة صلب المجتمع وطبيعة في الإنسان، وما التسابق في تشييد دور العبادة وصيانتها من طرف أفراد المجتمع لَخيرُ دليل على ذلك، وانطلاقا من ذلك تعتبر مؤسسة المسجد في الجزائر مؤسسة اجتماعية موجهة لإرضاء حاجة اجتماعية روحية تعبدية.

– وضع برنامج ومخططات العمل المتعلقة بتنظيم المحاضرات والندوات والتظاهرات الثقافية المختلفة والأيام الدراسية والملتقيات الجهوية والوطنية والدولية.

– القيام بالدراسات والبحوث المتعلقة بالفكر والتراث الإسلاميين.

– اتخاذ التدابير اللازمة للمساهمة في تحقيق الأهداف الكبرى المدرجة ضمن برامج الوزارة الوصية، فيما يتعلق بإبراز دور الحضارة الإسلامية في تطور الإنسانية وتقدمها.

– السهر على جمع وترتيب وحفظ جميع الأدوات والوسائل المكتوبة والسمعية والمصورة والتجهيزات الكفيلة بأداء مهامه.

– تبادل المعلومات والخبرات العلمية مع المؤسسات العلمية والثقافية الوطنية والدولية في مجال الفكر الإسلامي.

– إصدار وإنتاج ما يلي: برامج الإعلام الآلي وفتح مواقع ضمن الانترنت، مجلة عن نشاط المركز، أشرطة سمعية وسمعية بصرية، تشجيع الدراسات والبحوث الإسلامية المتخصصة في مختلف العلوم الإنسانية، إحياء الأعياد الدينية والوطنية بالتنسيق مع الهيئات المعنية.

الحركة الباديسية

IV جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

مع مستهل (القرن العشرين) بدأت مظاهر النشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي تطفو على الساحة الجزائرية، ولاحت بوادر النهضة والإصلاح في الأفق عبر النوادي والصحف والجمعيات التي نادت بالتحرر عن طريق التعليم وراحت تعمل على نفض الغبار عن ملامح الشخصية العربية الإسلامية للإنسان الجزائري بعد أن حاول الاستعمار وأعوانه طمسها ومحوها من الوجود.

تحرك في ميدان الدعوة عدد من العلماء والمشايخ الذين عادوا من بلاد المشرق أو تونس حيث جامع الزيتونة، وكان من أبرز هؤلاء الأعلام الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي.

18

يقول الإبراهيمي رحمه الله: "كان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر ومن مخبئات الغيوب لها أن يرد علي بعد استقراري بالمدينة المنورة، سنة وبضعة أشهر، أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس أعلم علماء الشمالي الأفريقي ولا أغالي، وباني النهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر... كنا نؤدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ونخرج إلى منزلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يُفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية الثلاثة أشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة. كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشر سنة، وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة 1913 ميلادية هي التي وُضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931. ورجع الشيخ إلى الجزائر من سنته تلك بعد أن أقنعته بأني لاحق به بعد أن أقنع والدي أن رجوعي إلى الجزائر يترتب عليه إحياء للدين والعربية، وقمع للابتداع والضلال، وإنكاء للاستعمار الفرنسي". (عن كتاب "في قلب المعركة"، الشيخ الإبراهيمي).

انخرط الشيخ ابن باديس بعد عودته إلى الجزائر في عدد من الأنشطة التعليمية والدعوية، ففتح صفوفا لتعليم العلم، وشرع في إلقاء دروس التفسير في الجامع الأخضر بمدينته، قسنطينة، إضافة إلى إمامة المصلين في الجامع ذاته.

وبعد أن شاع أمر جهود ابن باديس التعليمية والدعوية أقبل الكثيرون على المدينة لحضور حلقات العلم والتفسير ودروس الوعي والإصلاح والدعوة، وقد بادر أهل الخير بإيواء وإطعام ذوي الحاجة من طلاب العلم.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى استقرت الأوضاع أكثر في الجزائر واستمر ابن باديس في جهوده الدعوية والتعليمية وفاق عدد الطلاب في مدينة قسنطينة الألف، كانوا بعد ذلك بمثابة الكتيبة الأولى في الإصلاح والدعوة وبث روح الوعي والوطنية بين أبناء الشعب.

وفي هذه الفترة عاد الشيخ الإبراهيمي من بلاد المشرق واستقر في بلدته، سطيف، التي لا تبعد كثيرا عن مدينة قسنطينة، وشرع في عقد الندوات العلمية للطلاب والدروس الدينية لعامة الناس، وانتقل بعد ذلك إلى إلقاء المحاضرات التاريخية على الجماهير الحاشدة في المدن العامرة والقرى الآهلة، وكان الهدف هو تعريف الناس بتاريخهم وأمجاد ماضيهم الذي اجتهدت فرنسا في محوه من الذاكرة وكأن الجزائر بلد بلا ماضي وشعب بلا جذور. كما كان الإبراهيمي يتنقل بين المناطق كل جمعة لإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد الديني. ولما تهيأت الظروف المناسبة أسس مدرسة لتنشئة طائفة من الشبان وتمرينهم على الخطابة والكتابة ودعوة الجماهير، بعد التزود الكافي بالعلم الشرعي.

ورغم مضايقات الإدارة الاستعمارية وأعوانها، ظل الشيخ الإبراهيمي على صلة بالشيخ ابن باديس طوال السنوات الممتدة من 1920 إلى 1930، حيث يلتقيان كل أسبوعين أو شهر على الأكثر، يتزاوران في قسنطينة أو سطيف، ويتحاوران ويتشاوران حول تأثير العمل الدعوي والتعليمي في أوساط الشعب الجزائري، ويضعان البرامج بعد توقع المفاجآت والحوادث ومكائد المستعمر.

وفي عموم القطر الجزائري وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى؛ عرفت البلاد تطورا مشهودا في الدعوة والعلم والفكر وذلك بعد عودة الكثير من الطلاب الجزائريين من المشرق أو من تونس أين كانوا يواصلون تعليمهم وكان أغلب هؤلاء قد اطلعوا على حركة النهضة والإصلاح التي أثرت في عدد من الشعوب العربية والإسلامية، وعمل هؤلاء الطلاب على نشر الأفكار الإصلاحية بمختلف الوسائل الممكنة ومن بينها تأسيس الجمعيات والنوادي وفتح المدارس للتعليم.

وكان من أشهر النوادي التي عرفتها الجزائر في العشرينيات نادي الترقي بالعاصمة الذي تأسس عام 1926 على يد عدد من العلماء والمثقفين، وكان له دور أساسي في الحركة الوطنية والإصلاحية حيث كان منارة ثقافية دعوية ومركز إشعاع حضاري ببعده العربي والإسلامي.

لقد آتت جميع الجهود الدعوية ثمارها وبدأ الوعي بأهمية الدين واللغة يعود إلى أوساط النخب الجزائرية.. وعام 1930 احتفلت فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر وظنت أنها سيطرت على الشعب الجزائري إلى الأبد.. وبعد عام واحد أسس نخبة من العلماء والمثقفين الجزائريين جمعية

علمية دعوية كان لها التأثير الأبرز في مجريات الأحداث حتى بزوغ فجر الاستقلال عام 1962.

شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا

التأسيس:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349هـ، الموافق لـ 5 ماي 1931م، بنادي التَّرقي، بالجزائر العاصمة.

الهيئة الإدارية:

تكوّنت الهيئة الإدارية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند تأسيسها من السادة العلماء والأساتذة: : عبد الحميد بن باديس – محمد البشير الإبراهيمي – الطيّب العقبي – محمد الأمين العمودي– مبارك الميلي – إبراهيم بيّوض – المولود الحافظي – مولاي بن الشريف – الطيّب المهاجي – السّعيد اليجري – حسن الطرابلسي – عبد القادر القاسمي – محمد الفضيل الورتلاني.

مكتب الجمعية:

انتخبت الهيئة الإدارية للجمعية مكتبها في اليوم الثاني للتأسيس، وذلك النحو التالي:

- عبد الحميد بن باديس، رئيسا
- محمد البشير الإبراهيمي، نائبا للرئيس
- الأمين العمود، كاتبا عاما
- الطيب العقبي، مساعدا للكاتب العام
- مبارك الميلي، أمينا للمال
- إبراهيم بيّوض، مساعدا لأمين المال

دعوة الجمعية وأصولها:

- الإسلام هو دينُ الله الذي وضعه لهداية عباده، و كمَّله على يد نبيّه محمّد الذي لا نبيّ بعده.
- الإسلام هو دينُ البشريَّة الذي لا تسعد إلا به، لأنه دعوة إلى الأخوة، والكرامة، والحقوق الإنسانية، والعدل، والإحسان العام، يحرّم الظلم بجميع وجوهه، ويُمجّد العقل والتفكير والحجّة والإقناع، ويجعل الحكم شورى ليس فيه استِبداد.
- القُرآن الكريم هو كتاب الإسلام.
- السُّنَّة الصّحيحة تفسير وبَيانٌ للقرآن الكريم.
- سلوك السّلف الصّالح تطبيق صحيح لهدي الإسلام.
- البدعة كل ما أُحدث على أنه عبادة وقربة، ولم يثبت عن النبي فعله، وكل بدعة ضلالة.
- المصلحة كلُّ ما اقتضَتْهُ حاجة الناس في شؤونهم، ممَّا تقِرُّه أصول الشريعة.
- التّوحيد أساس الدين، فكلُّ شِرك في الاعتقاد أو القول أو الفعل باطل ومردود على صاحبه.

مقاصد الجمعية: مقاصد الجمعية ترجع إلى ثلاثة أمور:

1- المساجد وموظفوها وأوقافها.

2- التعليم العربي ومدرسوه ومعلموه.

3- القضاء الإسلامي وتعليمه ورجاله.

وقد اعتبرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نفسها، منذ تأسيسها، بحكم أمانة الدين وعهد الله وشهادة الواقع، مسؤولة عند الله وأمام الأمة الجزائرية عن الإسلامي ومؤسساته وتعليمه ولغته وجميع شعائره الحقيقية وأحكامه القضائية.

نهضة التَّعليم العربي الإسلامي:

لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا بالغ الأهمية في المحافظة على الثقافة العربية، ونشر التعليم العربي الإسلامي، على نِطاق واسع، حيث شملتْ مدارسها كافة المناطق الجزائرية.

غايات كبرى حققتها الجمعية:

- نشر اللغة العربية بين أبناء وبنات الجزائر على نِطاق واسع.
- إحياء الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، بعد أن أوشكت على الاندثار.
- بعْث التاريخ العربي الإسلامي.
- توجيه الجزائريين إلى وجهة وطنية تتعارض تعارضا كاملا مع سياسة الاحتلال.
- إعداد صفوة من الرجال والنساء، كانوا عمدة لنهضة الجزائر قبل الاستقلال، وجنودها في معركة التحرير، وبُناتها بعد الاستقلال.
- تنظيم بعثات تعليمية لخرّجي مدارس الجمعية ومعاهدها، إلى المشرق العربي.
- إصلاح أساليب التعليم، وطرق التدريس.
- إصلاح الكتب المدرسية.
- غرْس مكارم الأخلاق في نفوس الشَّباب، ومحاربة البدع والرذائل والضلالات.

الجمعية بعد الاستقلال:

توقفت الجمعية عن النشاط بعد الاستقلال بسبب بعض الإشكاليات، ولم تعد للنشاط إلا في بدايات العقد الأخير من القرن العشرين، لكنها توقفت من جديد، من الناحية العملية، سنوات الفتنة التي مرّت بها الجزائر، ثم عادت للنشاط بعد أن استعادت الجزائر عافيتها.

الرؤساء المتداولون على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

الرئيس الأول: الشيخ عبد الحميد بن باديس، رحمه الله

الرئيس الثاني: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رحمه الله

الرئيس الثالث: الشيخ أحمد حماني، رحمه الله

الرئيس الرابع: عبد الرحمن شيبان رحمه الله